

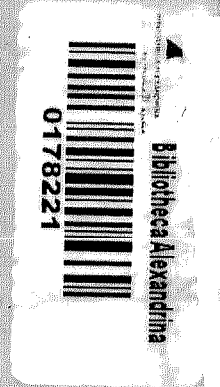
مكتبة الثقافية

١٣٦

# المدارس الفلسفية

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

الدار  
المصرية  
للتأليف  
والترجمة



أول يولييه ١٩٦٥

تخليا عربى  
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل  
٧٠١٧

اهداءات ٢٠٠٠

المهندس/ راداميس اللقانى

الإسكندرية

المكتبة الثقافية  
١٣٦

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية

# المدارس الفلسفية

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الإسكندرية

الدار  
المصرية  
للتأليف  
والترجمة

أول يولية ١٩٦٥

توزيع

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفيحة - القاهرة

تليفون : ٩٠٨٩٢٠

## الفلسفة والمجتمع

الانسان مدنى بالطبع ، يعيش فى مجتمع يتعاون أفراده على النهوض بحاجاته المختلفة ، ولا بد له من توفير بعض الحاجات الضرورية أقلها المأكل والملبس والسكن والدفاع عن النفس من المخاطر . ومنذ أزمنة موعلة فى القدم يقدرها العلماء بما لا يقل عن عشرة آلاف عام قبل الميلاد ، ارتقى الانسان سلم الحضارة مع ابتكار الأدوات التى يستخدمها فى الطحن ، والطهو ، والنسيج والظعن والنزال ، وتعقدت هذه الأدوات شيئاً فشيئاً حتى ابتعد الانسان أشواطاً بعيدة عن حالة الفطرة ، أو الحالة الحيوانية ، وأصبح لا يتيسر له أن يعيش الا اذا تعلم كيف يصنع هذه الأدوات والآلات ، وكيف يستخدمها ويسخرها فى تحقيق مصالحه .

ثم تناقلت الأجيال اللاحقة عن السابقة ما اكتسبته البشرية فى آلاف من السنين ، وأصبح «التعلم» و «التعليم» الوسيلة لنقل الحضارة من جيل الى جيل ، فكان التعلم عن طريق المحاكاة سبيلاً غير مقصود لهذا الانتقال ، وأضحى « التعليم » مرتبة أعلى فى الحضارة يدل على وعى المجتمع بأهدافه وغاياته التى يتجه إليها ويسعى إلى بلوغها .

هذا التعليم المقصود الموجه الى غاية لا جرم يحتاج الى شعور بالغايات والى معرفة بالطرق الموصلة الى هذه الغايات، مع تنظيم هذه الطرق واختيار أفضلها اصابة للفرض، واكثرها استقامة الى بلوغ الهدف . ونهض جماعة من اصحاب الغيرة على مصالح قومهم ، يفكرون في اقوم السبل الى التعليم ، وظهر في كل امة افراد يعدون منها بمنزلة القادة ، كانوا يسمون غالبا بالكهان أو العرافين ، وأحيانا بالحكماء ، يرسمون لجماعتهم طريق السلامة والصلاح في السياسة والاخلاق والاقتصاد والدين والفن والعلم .

وافترق الكهان أو الحكماء عن غيرهم بأمر ثلاثة : التميز بالمعرفة ، واحتكارها ، وصياغتها .

فقد شعر الكاهن أن علمه بالطب لعلاج الأبدان ، والسحر لتسخير القوى الطبيعية أو تجنب ضررها وتخفيفها ، أكسبه سلطانا على الناس جعلهم يلجأون اليه كلما حزبهام أمر ، فيمنحهم التمام والتعاويد والأعشاب التي يتداون بها . هذا السلطان جعله يشعر بالتميز عنهم ، والمنزلة فيهم ، ويحث عن علة هذه المنزلة فرأى أنها ترجع الى المعرفة ، فأقبل عليها ، واستزاد منها ، واحتفظ بها سرا لنفسه حتى يظل متميزا عن غيره .

ومن هنا نشأ احتكار المعرفة .

والمعرفة النظرية طريقها وعر ؛ محفوف بالاشواك ؛ لا بالبورود والرياحين . انه طريق يحتاج الى الداب والمثابرة :

مع انعام النظر وأدامة التأمل وأستخلاص الفِكر ، وأستنتاج القواعد العامة من المشاهدات والتجارب ، ثم تطبيق القاعدة لمعرفة صحتها ، وتصحيحها إذا تبين فيها خطأ ، مما يحتاج الى زمن طويل قد لا يقاس بعمر الفرد ، بل بعمر أجيال وأجيال . ان ما بلغته البشرية اليوم من علم ومعرفة إنما هو ثمرة الانسانية كلها منذ انبثاق فجر الحضارة ؛ انه تاريخ الفكر البشرى ، مرّ - ولا يزال - بمرحلتين ، مرحلة احتكار ومرحلة اباحة . ففي مرحلة الاحتكار يحتفظ فرد ، والأغلب بضعة أفراد قليلون ، بأسرار المعرفة التي اما أن يكون قد حصلها بنفسه ، أو أخذها عن معلمه ، وحفظها عنه ، ليودعها تلميذاً آخر ، وهكذا ، بحيث تتسلسل المعرفة في أسرة معينة ، أو جماعة معينة ، جيلاً بعد جيل . ولذلك كان هذا الضرب من التعليم سرّاً من الأسرار ، وكانت مدارسه سرية ، وتعاليمه « مستورة » أو « باطنية » . أما النوع الآخر فهو التعاليم المباحة المنشورة ، والتي يسمح للناس بمعرفتها . الا ترى الى مباحث الذرة والتفجير الذري وصنع القنبلة الذرية والهيدروجينية كيف تحتفظ بها بعض الدول في العصر الحاضر سرّاً من الأسرار . بل أيسر من هذا الا ترى كيف تحتفظ الشركات الصناعية « بسر الصناعة » حتى لا يزاحمها في السوق أحد ؟ فلا عجب ان تنشأ في القديم المدارس السرية وتحتكر المعرفة وما يتبعها من نفوذ وسلطان . ولكن المعرفة تحتاج الى تعبير ، ويحتاج التعبير عنها

الى صياغتها في ثوب من اللغة والعبارة حتى يمكن نقلها من شخص الى آخر . وقد بدأ التعليم شفاهاً ، أو بالاصطلاح الفني « سماعاً » ، أى ما يسمعه التلميذ عن معلمه ، أو ما يسمعه الطفل من أهله فيحاكيهم . فلما اهتدى الانسان الى تسجيل الالفاظ والعبارة بالكتابة والتدوين ، أمكن الاحتفاظ بما اهتدى اليه من معرفة ، والرجوع اليه عند الحاجة ، وتأمله ، والنظر اليه ، ومراجعته ، وتصحيحه ، والتقدم به خطوة خطوة الى الامام . وأهم من ذلك كله فيما يعيننا الآن انه استطاع القيام بتعليم هذه الألوان من المعارف بطريقة منظم ، وهو الطريق المعروف بالمدارس والتدريس . وأمكن أيضاً أن يستقل التلميذ على البعد بالاطلاع على ما جاء في هذه الكتب ، وأن يأخذ عنها بغير معلم سماعاً ، ولو أن طريق السماع أولى وأثر وأكثر فائدة .

ويتبين من هذا الاستعراض السريع للحضارة البشرية أن قيام المدارس انما نشأ في عصر متأخر نسبياً في تاريخ هذه الحضارة ، يمكن أن يحدد على وجه التقريب بالقرن السادس قبل الميلاد من جهة الزمان ، وفي بلاد اليونان من جهة المكان . وليس معنى ذلك أنه لم تنهض مدارس قبل ذلك في بقاع أخرى من الدنيا المتحضرة ، وبخاصة في أرض مصر التي كانت نبراساً اهتدى به اليونانيون . فنحن نعرف أن قدماء المصريين باعتراف اليونانيين أنفسهم - كما سجل أرسطو في أول كتاب الميتافيزيقا قائلاً : ان فلاسفة الاغريق

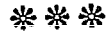


أخذوا عن المصريين علم الهندسة - كانوا أصحاب حضارة  
عريقة تمتد أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وأنهم  
برعوا في علوم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء ، إلى  
جانب تقدمهم في الفنون والآداب كالموسيقى والتصوير  
والنحت والبناء . ولا نزاع في أن تقدم هذه العلوم والفنون  
ذلك التقدم العظيم إنما اعتمد على تعليم منظم ينقله المعلم إلى  
تلاميذه عن قصد ووعى . غير أن ذلك التعليم نشأ في  
أحضان الدين ، وفي ابهاء المعابد ، وعلى أيدي الكهنة . وقد  
احتفظ الكهنة بتلك المعارف لأنفسهم وجعلوها من جملة  
أسرارهم . بل إن بعض العلوم التي استقلت عن الدين  
كالهندسة والبناء ، ظلت محصورة في طوائف معينة يتوارثها  
الأبناء عن الآباء ، كما كانت الحال في سائر المهن والحرف  
والصناعات الأخرى . ولم يخرج قدماء المصريين من معارفهم  
إلى النور سوى المبادئ الأولية الضرورية لكل صغير ، مثل  
الحساب والهندسة العملية ، وبقيت المعارف الراقية العالية  
مُحجوبة عن الانتشار .

وقد استطاع بعض المفكرين من قدماء الإغريق في القرن  
السادس قبل الميلاد الوصول إلى تلك المعارف ، والاتصال  
بالكهنة فأخذوا عنهم آخر ما انتهى إليه العلم المصري ،  
ونقلوه إلى بلادهم وأذاعوه ، وسموا المعرفة الجديدة التي  
إبتدعوها « فلسفة » ؛ فكانت هذه الصناعة الفكرية لفظاً  
ومعنى بضاعة إغريقية ، باعتراف الغرب والشرق على

السواء ، ولا يزال اسم الفلسفة دليلاً قاطعاً على هذه النسبة . أما أولئك المفكرون الذين وفدوا إلى أرض مصر ينهلون من مائها شراباً يروى الأبدان ، ومن معارفها أنواراً تضيء النفوس والأرواح ، وتفدو الأذهان والعقول ، فانهم عدد كبير سجل لنا التاريخ بعض أسماؤهم ، يكفي أن نذكر منهم طاليس ، وفيثاغورس ، وأفلاطون ، وقد أنشأ كل منهم بعد عودته من رحلته مدرسة فلسفية ، تختلف كل منها عن الأخرى شكلاً وموضوعاً ومكاناً ، ولكل منها أثر بالغ في تاريخ الفكر من جهة ، وفي التأثير على المجتمع من جهة أخرى .

فقد يسدو لكثير من الناس في الوقت الحاضر أن الفلسفة ، هذه الصناعة الجديدة التي ظهرت مباينة للدين والعلم على السواء ، مهمة بعيدة كل البعد عن الحياة الاجتماعية ، وأن المشتغلين بها قوم انعزلوا بأنفسهم مع أفكارهم وأوهامهم وأحلامهم ، ثم طلعوا على الناس بهذه الأفكار الغريبة الغير المألوفة . وهذا باطل ، ووهم شائع انتشر عند الجمهور في العصور المتأخرة التي تدهورت فيها حال الفلسفة ، وأمست بعيدة عن الحياة ، منعزلة عن مطالب المجتمع .



فاذا رجعنا إلى الماضي البعيد في القرن السادس قبل الميلاد ، وهو وقت ظهور الفلسفة ، رأينا أن طاليس كان

متصلا اتصالا وثيقا بحاجات المجتمع في عصره ، وأن فلسفته قامت لخدمة مصالح قومه . نشأ في مدينة ملطية إحدى ثغور آسيا الصغرى ، وهو أحد الحكماء السبعة ، وكان يؤخذ رأيه في سياسة المدينة . وقد خدمت اختراعاته الفلكية الملاحين ، ويقال أنه وضع تقويما فلكيا يعد أقدم ما عرف من نوعه بين فيه أوجه القمر ، وحركة الاعتدالين ، والتنبؤ بحالة الطقس . ولما كان معظم أهل ملطية من البحارة والتجار الذين يخرجون إلى البحر في سفنهم يطوفون بثغور البحر الأبيض للتجارة ، فإن مثل ذلك التقويم لا جرم يخدم المجتمع الذي نشأ فيه خدمة جلية . ثم إن طاليس لم يكن بعيدا عن المشاركة في السياسة ، فهو الذي نصح المدن الأيونية بالاتحاد للوقوف في وجه خطر الفرس . وهكذا كانت الفلسفة في خدمة المجتمع سياسيا واقتصاديا ، وكان الفلاسفة على صلة وثيقة بحاجات المجتمع الذي يعيشون فيه .

وكذلك كان حال فيثاغورس الذي ازدهر بعد نصف قرن من طاليس ، والذي هجر موطنه الأصلي في ساموس فرارا من حكم طاغيتها بوليقراطس ، وزار مدن الشرق ، واستقر في مصر زمنا طويلا ينهل من معارفها ويدرس فيها الفلك والهندسة والعقائد ، وأخيرا استقر في مدينة كروتون بجنوب إيطاليا ، حيث أسس مدرسته المشهورة التي سنفرّد لها حديثا خاصا فيما بعد . شارك في السياسة التي

جرقته تياراتها ، وجنت على فرقته وقضت على عدد كبير منهم . ولكن اتجاه فيثاغورس ومدرسته كان الى الدين والأخلاق أكثر منه اتجاهها سياسيا ، فكانت مشاركته للمجتمع وسعيه الى التقدم به عن ذلك الطريق الدينى الأخلاقى . أما طاليس ومدرسته فكانت عنايته بالعلم والنظر فى الطبيعة ، وأثمرت مباحثه العلمية فى ترقية المجتمع من هذا السبيل . وهكذا نرى أن الفلسفة اتجهت منذ القديم وجهتين رئيسيتين كل منهما تحاول التقدم بالبشرية ، أحدهما علمية تجريبية ، والأخرى أخلاقية ، والتقت الوجهتان فى بعض الأحيان عند بعض الفلاسفة وبخاصة الشوامخ منهم . ويؤيد تاريخ المدارس الفلسفية ما نذهب اليه مما سيتبين عند الحديث عن هذه المدارس . ولكنها على اختلافها وتعددتها إنما كانت تعكس حاجات المجتمع وتعد مرآة تصور ما يقوم عليه المجتمع من نظم وقوانين وشرائع ، وما يسوده من آداب وفنون وعلوم ، بحيث يتسنى للمواطن أن يفهم طبيعة الحياة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ويترتب على هذا الفهم التمكن من الاندراج فى عجلة هذه الحياة مسهما فى تسييرها لا فى تعطيلها .

ولكن المدارس الفلسفية لم تقف عند تحليل النظم الاجتماعية ومحاولة فهمها الا لى تعمل على رسم خطوط جديدة لمجتمع أفضل بابتداع أنظمة جديدة تعمل على تطوير المجتمع وترقيته . ولو أنها قنعت بمرحلة

الفهم والتسجيل ما كانت مدارس فلسفية جديدة بأن تحمل هذا الاسم . وفي المدارس العادية كفاية في القيام بهذه المهمة . أما المدارس الفلسفية فلأنها بحكم وظيفتها من الهداية والارشاد ، فهي تقوم بدور القيادة الفكرية التي تأخذ بيد الأمة الى الأمام .

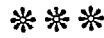
وليس معنى ذلك أن كل المدارس الفلسفية كانت مجددة في الفكر ، يتعمق أصحابها في البحث ، ويشاركون في الاحساس بمطالب المجتمع ويعملون على رفاهته وتنميته ، اذ تصاب المدارس بما يصيب كل كائن حي من شيخوخة وما يصحبها من جمود وتهدم واندفاع نحو الفناء . وقد نشأت مدارس ثم ماتت ، وبقي بعضها واستمر يعيش على تعليم كتب القدماء وشرحها أو تلخيصها .



مرينا أن المدارس الفلسفية لم تنشأ الا في بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد . وكان بعضها يتخذ للتعليم مقرا ثابتا ، وينزل في دار محددة ، على حين لا يتقيد بعضها الآخر بمقر ثابت أو دار معروفة ، وإنما يأخذ التلميذ عن أستاذه مباشرة ثمرة لزومه وصحبته . وهذا النوع الأخير كان يقتصر في الأغلب على تلميذ واحد ، مثل طاليس ، وتلميذه انكسمندريس ، ثم انكسمانس تلميذ انكسمندريس ، ويعرف هؤلاء بالمدسة الأيونية نسبة الى أيونية ، أو

المطية نسبة الى مدينة مطية ، أو الطبيعية لأنها أتجهت في بحثها الى الطبيعة . وليست هذه التلمذة تلمذة تلقين بل تلمذة صحبة ، كما نقول ان الشيخ محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغانى ، نعى أنه صحبه ، وأصبح صاحبه ، وأعجب بتعاليمه وصادفت هوى في نفسه ، فأخذها عنه وأذاعها ، وقد يتطور بها ويحورها . وكانت هذه التلمذة التى هى ثمرة الصحبة شائعة في بلاد اليونان ، فكان زينون تلميذ بارمنيدس وصاحبه ، كما كان أفلاطون تلميذ سقراط .

ومن الواضح أن هذه المدارس التى لم تتقيد بمكان ، ولا بتعليم منظم وبرنامج محدد ، كانت موقوتة بزمان أصحابها ، على حين أن المدارس التى اتخذت دورا للتعليم مثل الاكاديمية أو اللوقيون استمرت زمانا طويلا ، وتتابع عليها التلاميذ ، واستمرت تؤثر في تيار الفكر المحلى والعالمى على السواء . وما بالك بمدرسة تستمر قائمة تسعة قرون من الزمان ، نعى المدرستين اليونانيتين الكبيرتين الاكاديمية والمشائية .



ومن الطبيعى والمدارس الفلسفية بهذه الوفرة الا يتسع لذكرها كلها هذا الكتاب الصغير ، وفضلا عن ذلك فان الاحاطة الشاملة تخرج عما قصدنا اليه وتجعل البحث

تاريخاً للفلسفة ، وتأريخاً للفكر . حثاً لا يمكن لمن يرغب في الحديث عن المدارس من حيث بناؤها وفصولها والنظام الذي تجرى عليه في حياتها التعليمية الا أن يتعرض للمذهب الفلسفي الذي تنادي به هذه المدرسة أو تلك ، غير أن التوسع في ذكر المذهب يبعد بنا عن القصد .

لهذا كله لن يتسع المقام الا للحديث عن بعض المدارس ، وبخاصة الكبرى منها ، وما كان ذا صلة وثيقة بالحضارة العربية ، مع العناية بذكر المدارس الفلسفية العربية التي تعد جزءاً من تراثنا .

## الفِثَاغُورِيَّة

أعجب مدرسة فلسفية هي المدرسة التي أنشأها فيثاغورس في مدينة كروتون بجنوب إيطاليا في القرن السادس قبل الميلاد . فهي عجيبة في تكوينها ، وعجيبة في تعاليمها ، وعجيبة في أثرها .

وأول مظاهر العجب أنها تسمى الفِثَاغُورِيَّة ، ولا يقال مدرسة فيثاغورس . والفرق بين التسميتين كبير ، لأن مدرسة فيثاغورس تنسب إلى شخص صاحبها ، وتنقضى بوفاته . أما الفِثَاغُورِيَّة فإنها على الرغم من أنتسابها إلى فيثاغورس إلا أنها تتجاوز شخصه إلى جماعة الفِثَاغُورِيِّين ، فالمدرسة في حقيقة أمرها تخضع لهيئة من القادة على رأسهم فيثاغورس ، وهذا هو السر في أن المدرسة لم تنقرض بموت رئيسها . وأيضا فإن فيثاغورس نفسه تلفه غلالات من الغموض والأساطير ، مما جعل كثيرا من المؤرخين يشكون في وجوده .

ولسنا نغالي غلو هؤلاء المؤرخين ، فلا بد أن فيثاغورس كان شخصية حقيقية على الرغم من نسيج الخرافات الذي



تراكم حول سيرته . وقد كان القرن السادس كله عصر هزات واضطرابات وانقلابات فكرية في شتى أنحاء العالم المعروف . انه عصر كونفوشيوس وبوذا وزرادشت . وهو العصر الذي ظهرت فيه الفلسفة اليونانية على يد حكماء اليونان . وأدت يقظة الشرق الشديدة الى الضغط على آسيا الصغرى وعلى مصر التي احتلها قميمز فترة قصيرة من الزمن . اما بلاد اليونان فقد انتقل مفكروها من آسيا الصغرى الى جنوب ايطاليا ، ومنهم فيثاغورس . وكان الاغريق يعدون كل بلد ينزلون فيه جزءا من وطنهم ، فالمدن التي أنشئت في جنوب ايطاليا ، وصقلية ، وشمال افريقية ، ومصر ، كلها مدن اغريقية ، يتكلم أهلها اللغة اليونانية ، ويسرون في الحكم على النظام اليوناني ، فضلا عن اصطناع الشعر والتمثيل والأدب المأثور عن اليونانيين . فلا غرابة أن تنشأ مدارس في معظم تلك المدن على نسق ما كان معروفا في الوطن الأم .

ولكن مدرسة فيثاغورس كانت بعيدة عن الروح الاغريقية الأصيلة ، غريبة عن تراث آلهة أوليمبوس وما أثر عن أربابها من حكمة ترجع الى العقل ، وغريبة عن ديونيسوس اله الخمر وما عرف عنه من اندفاع مع الهوى والعاطفة والخيال ، فقد جلب فيثاغورس تعاليمه من الشرق الذي طاف بأرجائه ، ففيه ديانة جديدة جاءت من طراقيا

مع الآله أورفيوس ، وفيه نزعة الى الزهد لا تتفق مع النزعة  
الديونيسية بوجه خاص .

ويحيط الغموض بشخصية أورفيوس ، فهو الاله ،  
أو نبي ، أو شاعر ، أو موسيقار يفتن بموسيقاه الكائنات من  
شتى الأصناف . وللنحلة الأورفية رأى في أصل العالم  
وحقيقة الانسان . ففي البدء كان الزمان ، ونشأ عن الزمان  
الأثير والعماء ، وشكل الزمان بيضة في الأثير فتفتحت فخرج  
منها النور ، وانفلقت نصفين أصبح أحدهما السماء والآخر  
الأرض . وتزوجت جايا ( الأرض ) أورانوس ( السماء )  
فأنجبا ثلاث بنات وستة بنين . ولكن أورانوس ألقى بالأبناء  
في نهر تارتاروس حين علم بأن أبناءه سيقضون عليه .  
وغضبت جايا فأنجبت التيتان وهم مرده جبابرة ،  
وكرونوس ، وريا ، وأقيانوس ، وتيش . وتمضى الأسطورة  
فتصور لنا كيف ولد ديونيسوس من زيوس ، ثم خطف  
التيتان الطفل وأكلوه ، وكيف أعاد زيوس ديونيسوس الى  
الحياة مرة ثانية ، وكيف سلط على التيتان البرق والرعد  
فأحرقهم وجمع رمادهم وخلق منهم الانسان فأصبح بذلك  
مركبا من طبيعتين ، طبيعة التيتان وهى طبيعة الشر  
والاثم ، وطبيعة ديونيسوس وهى طبيعة الهية سامية .  
واصطنعت الفيثاغورية النحلة الأورفية وبخاصة  
نظريتها في النفس ونزعتها السرية .

وحين افتتح فيثاغورس مدرسته اجتذبت عددا كبيرا

من الأتباع ، قيل أن عددهم بلغ ما يقرب من عشرة آلاف . وهو عدد ليس ثمرة الاحصاء ، ولكنه ظن وتخمين ، لأن العدد المثالي للمدينة الاغريقية كان ذلك العدد . ومع ذلك فليس من المستغرب أن تبلغ المدرسة هذا العدد لأنها كانت تشمل الرجال والنساء على السواء . نقول مدرسة تجوزا ، لأنها كانت أشبه بفرقة دينية ، ونظام من الأخوة ، قريب من الفرق الصوفية التي انتشرت في الاسلام .

والمدرسة الى ذلك كانت ذات وجهين : أحدهما رياضى والآخر أخلاقى ودينى . أما الجانب الرياضى فلم يكن يصلح لهذا العدد الكبير من الطلبة بطبيعة الحال ، بل كان مقصوراً على قلة قليلة من الخاصة . ومعنى ذلك أن المدرسة ولو أنها كانت كلها سرية الا أنها كانت تقدم دروساً للخاصة ، في العلوم الرياضية ، وأخرى للجمهور في الدين والأخلاق . وقد بقى هذا التقليد سائداً في كثير من المدارس الفلسفية ، وسنجدده عند ارسطو الذى كان يلقي دروساً للخاصة في الصباح وأخرى للجمهور في المساء . وهذه التعاليم الخاصة هى التي كانت تحجب عن الجمهور ، وتسمى بالتعاليم المستورة ، ويسمىها الغزالي : المضمون به على غير أهله .

ومن الطبيعى أن تكون الرياضيات التي علمتها الفيثاغورية في القرن السادس قبل الميلاد ساذجة بدائية تمثل أول درجة من درجات هذا « العلم » . نقول « العلم » ، ونعنى بذلك الفرق بينه وبين المعرفة العملية التجريبية ،

لأن الانسانية لم تبلغ المرحلة العلمية بمعنى الكلمة الا بعد  
أن مرت مئات بل الآف من السنين تقتصر على المعرفة  
التجريبية القائمة على الحس . والرياضة من حساب  
وهندسة كانت اول العلوم التي اهتمدى الانسان اليها ،  
وذلك على يد فيثاغورس وشيخته . ولم يكن الحساب قد  
انفصل عن الهندسة ، لأن الحساب وهو علم العدد كان  
يصور على هيئة اشكال هندسية . فقد كان علماء ذلك  
الزمان يستخدمون « لوح العداد » وهو لوح يملأ  
بالرمل ويخط عليه الأشكال المطلوبة ، وبالنسبة  
للحساب يستخدم الحصى أو البلى ويوضع وضعاً هندسياً ،  
أى أن حصة واحدة تدل على نقطة ، واثنان موضوعتان  
جنباً الى جنب هما الخط ، وثلاث حصوات مثلث ، وأربع  
مربع ، وهكذا ، ومن هنا قالوا بالأعداد المثلثة والأعداد  
المربعة .

وقد وجدوا في الأعداد خصائص عجيبة عند جمعها  
وطرحها وضربها وغير ذلك من العمليات . مثال ذلك أن مجموع  
مربعى العددين المتواليين ٣ ، ٤ يساوى مربع العدد التالى  
لهما وهو ٥ ، أى  $٩ + ١٦ = ٢٥$  ، وهذه الخاصية العددية  
هى التى طبقت فى الهندسة فى نظرية فيثاغورس المشهورة  
القائلة بأن مجموع مربعى ضلعى المثلث قائم الزاوية يساوى  
مربع الوتر ، فاذا فرضنا أن طول أحد الضلعين ثلاثة  
والآخر أربعة كان طول الوتر خمسة . وليس المهم الكشف

عن صحة هذه النظرية ، أو المسألة الهندسية بطريقة عملية ، وإنما المهم « اثبات » صحتها « بالبرهان » الرياضى ، أى نظريا لا عمليا . وكان فيثاغورس يعلى من شأن « النظر » على العمل ، وهو صاحب قسمة الناس هذه القسمة المشهورة الى نظار وجمهور ، فالجمهور هم جملة الناس وجمهورتهم المشتغلون بأمور الدنيا والمعاش من زراعة وتجارة ومهن أخرى يراولونها بأيديهم ، أما « النظار » فانهم لا يشاركون فى هذه الأعمال ولكن « ينظرون » أى يتفرجون من بعيد على الذين يعملون . وقد استمر هذا التقليد الذى يفصل بين النظر والعمل من جهة ، ويعلى من شأن النظر على العمل من جهة أخرى فى الفلسفة اليونانية كلها ، اخذ به أفلاطون ثم أرسطو ، وانتقل هذا التراث الى العرب عند نقل الفلسفة اليونانية ، واخذت به أوروبا بعد عصر النهضة والعصر الحديث ، ولم يبدأ يتغير هذا المبدأ الفيثاغورى الا فى هذا القرن العشرين .

ويرجع بنا الحديث الى الرياضيات فنقول : ان ما يخيل الينا اليوم من مسائل حسابية وهندسية فى غاية البساطة ومما يدرسه الصبيان فى سن متقدمة بالمدارس كان فى ذلك العهد فى غاية الصعوبة ولا يقوى على فهمه وادراكه الا قلة قليلة جدا هم الفلاسفة . ونحن لا نعرف كم كان عدد هذه الحلقة من الخاصة الملتفين بفيثاغورس لطبيعة السرية التى ضربت حول التعاليم الرياضية ، الى درجة أن

أى واحد يفشى هذه التعاليم كان يعاقب بالطرد . واختلفت الآراء فى أمر ذلك الذى أفشى هذه التعاليم الرياضية ، فقيل انه « فيلولوس » وكان فيثاغوريا كتب كتابا من ثلاثة أجزاء اشتراه ديون حاكم سراقوسة بصقلية حسب طلب افلاطون ، فتيسر بذلك أن يطلع افلاطون على آراء فيثاغورس الرياضية . ولكن هذه الرواية ينقضها ما كان يعرفه سقراط من أتباع الفيثاغوريين ، وبخاصة أن افلاطون نفسه كان يعرف صلة سقراط بهؤلاء الأتباع مما نجده مدونا فى أول محاورة « فيدون » . والأرجح أن الذى أفشى تعاليمهم هو « هيباسوس » الذى دوّن هذه التعاليم فى كتاب ، وكان ذلك فى حياة فيثاغورس نفسه ، وعوقب لهذا السبب بالطرد من الفرقة الفيثاغورية .

ولم تكن الفيثاغورية مدرسة بمقدار ما كانت فرقة تقوم على نظام من الأخوة ، وكأنها دير أو معبد . وكان جميع أفرادها يعيشون معيشة زهد وبسساطة ، ويلبسون زيا موحدا وهو البياض ، ولا ينتعلون بل يمشون حفاة الأقدام . وقد سبقت الإشارة الى أن سقراط كان من جملة أتباعهم ، فلا غرابة أن يسلك مسلكهم ، فكان يمشى حافى القدمين . والفيثاغورية أول مدرسة فتحت أبوابها لتعليم المرأة ، وبذلك قررت الفيثاغورية مبدأ مساواة المرأة بالرجل قبل أن يقرره افلاطون فى جمهوريته بقرنين من الزمان . ومن الغريب أن افلاطون على الرغم من المناداة بالمساواة بين

الرجل والمرأة لم يؤثر عنه أنه فتح أبواب الأكاديمية لآى امرأة . وعلى العكس كانت هناك مدارس فلسفية فى اليونان ضمت نساء الى جانب الرجال مثل مدرسة ابيقور . ان تحرير المرأة مرتبط ارتباطا وثيقا بتعليمها . ولم تستطع المرأة ان تظهر بالتعليم العالى الا منذ اواخر القرن التاسع عشر واولائل هذا القرن فقط . اما قديما فلم تظهر الا محاولات كانت اشبه بومضات لا تكاد تبرق حتى تختفى ، ولم يقدر لها الاستمرار . ولهذا لم يذكر التاريخ امرأة كانت صاحب مذهب فلسفى ، او عالمة بالرياضيات او الطبيعيات ويبدو ان رأى سقراط فى المرأة من جهة تعلمها الفلسفة كان سيئا ، فقد ذهبت زوجته بصحبة ابنائهما الى السجن تزوره قبل اعدامه ، ولم تكذ تراه حتى اخذت تولول وتصيح ، فقال لرفقائه : اخرجوا هذه المرأة . ونحن نجد هذا الحديث مسجلا فى اول محاوره « فيدون » .

وقد اشتهرت المرأة الفيثاغورية بالعبقة والفضيلة ، وانها افضل نساء الاغريق . والعلة فى ذلك انها تعلم الادب وبعض مبادئ الفلسفة ، كما كانت تعلم تدبير المنزل والامومة . ان اشتراك المرأة مع الرجل على هذا النطاق الواسع جعل المدرسة الفيثاغورية شيئا اشبهه بمجتمع مثالى او مدينة فاضلة . وكانت المدن الفاضلة الشغل الشاغل لفلاسفة اليونان ، حتى ليتمكن القول ان هدف الفلسفة صياغة المجتمعات المثالية او المدن الفاضلة ، كما

هى الحال فى جمهورية افلاطون . ولكن معظم المدن الفاضلة كانت من قبيل « الطوبيات » تصورها اصحابها فى الخيال ، ولم تطبق عمليا بالفعل ، فيما عدا بعض المدن الفاضلة القليلة ، ومنها مدرسة فيثاغورس .

واذا كانت الفيثاغورية قد قبلت هذا العدد الكثير من الاتباع والمريدين فان التعاليم التى كانت تقدم لهم هى تلك الخاصة بالدين والاخلاق لا بالعلوم الرياضية . وقد عرفنا ان النحلة التى آمنوا بها هى الاورفية . والاولى ان الفيثاغورية لم تتعصب لديانة بعينها ، بل اخذت من كل ديانة بطرف ، وبذلك عمل فيثاغورس على التوفيق بين الاديان المختلفة فأخذ من طقوس بابل ومصر وتراقيسا وعقائد اليونانيين الى جانب الاورفية . وقد ظلت هذه النزعة التوفيقية مصاحبة للفيثاغورية على مدى حياتها . وعندما ظهرت الفيثاغورية الجديدة بالاسكندرية فى القرون الثلاثة الاولى بعد الميلاد امتازت بهذه النزعة التوفيقية ، وبخاصة بعد ظهور المسيحية . حتى اذا انتقلت الفيثاغورية الى العرب فى القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) ، لازمتها هذه السمة مما نجده واضحا فى رسائل « اخوان الصفا واخلان الوفا » فان اصحابها كتموا اسماءهم ، وزعموا ان تعاليمهم سرية ، وبدعوا رسائلهم بعلم العدد ، كما دعوا الى الزهد وتطهير النفس .

ان بلوغ السعادة القصبوى لا يتم الا بتطهير النفس .



ويقوم هذا التطهير على عدة مبادئ ومعتقدات ، على رأسها الاعتقاد في انفصال النفس عن الجسد ، وسمو النفس وتعالها على البدن ، وبقائها بعد فناءه . ثم الاعتقاد بتناسخ الأنفس . ثم اتباع طريق الزهد والرياضة لتصفية النفس وتطهيرها .

سادت فكرة التناسخ عند الفيثاغوريين بعد انتقالها اليهم من فلسفات الهند ومن الأورفية . وكان فيثاغورس - فيما يروى - مؤمنا أشد الايمان بهذه العقيدة ، ويقال انه رأى شخصا يضرب كلبا يعوى ، فأوقفه عن ضربه لأنه عرف من صوت الكلب أنه أحد أصدقائه الذين ماتوا وتناسخت روحه في هذا الكلب . وتبعاً لهذه العقيدة فان صاحب الأعمال الصالحة في حياته الدنيا تحل نفسه عند الموت في جسد شخص صالح ، وأن صاحب الأعمال الطالحة تحل نفسه في جسد حيوان . وهذه هي السعادة والشقاوة في نظرهم . كانت هذه الآراء شائعة في مدرسة فيثاغورس ، وكشف أفلاطون عنها في محاوره « فيدون » التي يتحدث فيها عن خلود النفس . وكان سقراط يدين بالفيثاغورية ولكنه أخذ يفكر في مبلغ ما في هذه الآراء من صواب ، فقبل بعضها ورفض بعضها الآخر ، فقبل رأيهم - أو رأى النحلة الأورفية - في أن البدن سجن للنفس ، ولكن ليس على المرء أن يفر من هذا السجن بالانتحار ، لأننا أشبه بالقطيع الذي يملكه الراعي ، ولا يملك الخروج على أمره . ولا بد للمرء أن

يمضى فترة العقوبة مسجوناً في هذا البدن . غير أن سقراط  
رفض فكرة التناسخ ، على الرغم من قبوله فكرة التطهير .  
ان فكرة « التطهير » التى يدات منذ فيثاغورس  
ومدرسته فى القرن السادس قبل الميلاد ، تقلبت فى أدوار  
مختلفة ، واتخذت أشكالاً متباينة عند سقراط وأفلاطون  
وأرسطو فى الزمن القديم ، حتى اذا بلغنا العصر الحاضر رأينا  
مدرسة التحليل النفسانى ، ونعنى بها مدرسة فرويد ،  
تعتمد فى العلاج على فكرة التطهير (Catharsis) . والهدف من  
التطهير الفيثاغورى هو التخلص من « عجلة الميلاد » أى  
التخلص من التناسخ فى بدن حيوان ، وبذلك يظل المرء  
يشقى طول مدة التناسخ ، ويخرج من شقاء الى شقاء .  
ولم يكتف فيثاغورس لتحقيق التطهير باتباع قواعد معينة  
فى الطعام والقيام بعبادات منظمة معينة على أيدى الكهنة ،  
ولكنه أضاف الى الزهد والعبادة شيئاً جديداً هو ممارسة  
العلم الرياضى والموسيقى لتصفية النفس ، كما يستخدم  
الدواء لتصفية الجسم . ومن المعروف أن فيثاغورس رفع  
الموسيقى من المرتبة العملية فأصبحت علماً نظرياً ، فأضحت  
علم التناسب ، وأقامها على سلم يتميز بطول النغمات  
عددياً . وبذلك ارتفع فيثاغورس بالتطهير من مجرد نزعة  
عملية الى مرتبة نظرية . وقد اتبع سقراط وأفلاطون هذه  
الطريقة فى التطهير ، فكانا يجمعان بين الزهد والسيرة الفاضلة  
وبين اكتساب العلوم الرياضية وبخاصة الهندسة . وكان

أفلاطون يكتب على باب مدرسته : « من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا » . واستفاد أرسطو من طريقة التطهير في الفن ، فالتراجيديا بما فيها من مواقف تبعث على الخوف والرعب والشفقة وغير ذلك ، تجعل المتفرج يتقمص هذه المواقف وينفعل بهذه الانفعالات ، فتخرج من باطن نفسه ، ويتطهر منها . وروى أن بعض المرضى العصبيين كانوا يعالجون في القرن الرابع قبل الميلاد بالطريقة الفيثاغورية ، وبخاصة بواسطة الموسيقى .

والمدرسة الفيثاغورية عظيمة الأثر في تاريخ الفكر الفلسفي . ذلك أن التفسير الرياضي للكون كان سائداً حتى زمان أفلاطون ، الذي اشترط أن يتعلم الطالب الهندسة قبل أن يتعلم الفلسفة . والعلة في ذلك أن الرياضيات علوم يقينية ، مضبوطة ، مستمدة من العقل ذاته لا من الخارج . وأساسها البديهيات الفطرية في العقل ، والتي لا تحتاج إلى برهان ، وإنما يكفي مجرد تصورهما للاعتقاد فيها . مثال ذلك بديهية المساواة وبديهية الكبر والصغر ، أي أن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية ، وأن الكل أعظم من الجزء . وقد بيّن أفلاطون في محاوراته أن الخادم الذي لم يتلق أي تعليم يستطيع أن يدرك هذه الحقائق البديهية من ذاته ، مما يدل على أنها مفطورة في العقل . وقد استمر هذا التيار الذي يعتقد في فطرية البديهيات الرياضية منذ زمان أفلاطون حتى ديكارت وكانط ورسل في الوقت الحاضر .

ولكن في نفس الوقت الذي ظهر فيه هذا التيار الرياضي عند فيثاغورس ، ظهر أيضا تيار آخر يفسر العالم تفسيراً طبيعياً ، اما بمادة واحدة كما كانت الحال عند طاليس ، او انكسمندريس ، او انكسمانس . وقد انتهى الأمر بهذا التيار الطبيعي عند أرسطو الى تفسير الموجودات بأنها مركبة من هيولى وصورة ، الى جانب رد العناصر الى أربع أساسية هي النار والهواء والماء والارض . وقد سيطر التفسير الأرسططاليسى على العالم حول عشرين قرناً من الزمان ، الى أن عاد العالم مرة أخرى الى التفسير الرياضي للموجودات ، لا على نحو ما كانت تفسر قديماً بل بمعادلات رياضية .

ان الذى وجه الدراسات هذا التوجيه الرياضى هو فيثاغورس ، ولذلك لم يكن من الغريب أن يقول برتراند رسل فى كتابه تاريخ الفلسفة الغربية : « انى لا ارى شخصاً غير فيثاغورس كان له اثر يماثله فى عالم الفكر ، لأن ما يبدو لنا أفلاطونياً نجده فى جوهره عند التحليل فيثاغوريا » .

## الأكاديمية

أشهر مدرسة فلسفية في التاريخ القديم ، وأطولها عمراً ، فقد أنشئت في أثينا زمان أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد ، وظلت تقوم بتدريس الفلسفة حتى النصف الأول من القرن السادس بعد الميلاد ، عندما أغلق الامبراطور جستنيان أبوابها . ومع ذلك لم تمت باغلاقها ، بل استمرت تعيش بعد أن هاجر فلاسفتها أثينا ، وذهبوا الى فارس حيث رحب بهم كسرى انو شروان ، وأنزلهم في مدينة جنديسابور .

ولا تزال الاكاديمية حية باسمها في جميع اللغات ، فالأكاديمية عنوان على نوع خاص من معاهد البحث العالي ، وهي تطلق في الاغلب على العلوم أكثر مما تطلق على الفنون والآداب . والصفة من الأكاديمية ، أى الأكاديمي ، تدل على الفكر المتعمق في البحث مع الجدة والأصالة .

وقد تيسر للأكاديمية هذا الاستمرار المتصل على مر الزمان بفضل النظام المحكم الذي وضعه لها مؤسسها أفلاطون .

فقد كانت هناك قبل انشاء الأكاديمية مدارس في اليونان ، كما كانت هناك مدارس في الشرق القديم . وقد أشرنا الى الفيثاغورية التي ظهرت قبل ذلك بقرنين من الزمان ، كما أشرنا الى مدارس الطبيعيين . وفي القرن الخامس ظهرت مدارس السفسطائيين وكانت تلك المدارس تؤدي وظيفة معينة هي تعليم الخطابة والبيان ، فكانت بذلك تُعيد اليونانيين لتولى الوظائف العامة التي ظهرت مع ظهور الديمقراطية .

ان المدارس لم تكن تظهر الا الحاجة ماسة ، فهي تخرج الحكام والساسة اذ كانت مشكلة الحكم هي الشغل الشاغل للأذهان . أو أنها تعد الطلاب لشغل وظائف الكهنة وخدمة المعابد وذلك بفهم أسرار الدين ، ومعرفة مراميه ، ووظيفته في خدمة المجتمع . أو أنها تعد الطلاب لأموال الدنيا من معرفة بالحساب والتجارة والاقتصاد وغير ذلك . ولكن مدارس السفسطائيين كانت مختلفة في وظيفتها عن هذه الاتجاهات الثلاثة ، ولم تكن تعلم الحق بمقدار ما كانت تعلم التغلب على الخصوم . ومن أجل ذلك نهض أفلاطون ينشئ الأكاديمية يعارض بها تعليم السفسطائيين .

ومن الغريب ان سقراط الذي لم يؤثر عنه انه كان صاحب مدرسة قد صوره أرسطوفان الشاعر الهزلي المشهور في تمثيلية السحب صاحب مدرسة يعلم الشباب

الجدل بالحق وبالباطل ، ولكن هذا التصوير الكاريكاتورى لا يتفق مع الحقيقة ، لأن سقراط أفنى حياته يطلب الحق ولا يرضى بالباطل ، وقُدِّم للمحاكمة لاتهامه بافساد الشباب ، أى أنه كان يزعزع عقائدهم فى القيم السائدة . فلما أعدم سقراط ، حزن عليه تلميذه أفلاطون حزنا شديدا ، وسخط على الديمقراطية التى كان يعيها مسئولة عن محاكمته والحكم عليه ، ثم رحل أفلاطون عن أثينا ، وطاف بكثير من بلاد الشمس ليلتقى بزملائه الفلاسفة . ذهب الى ميجارا ومكث عند أوقليدس الميجارى زمنا . ورحل الى مصر حيث التقى بكهنتها ودرس النظم المصرية فى الدين والتعليم والحكم والفنون ، وأعجب بشبات هذه النظم .

فلما قضى فى مصر وطره رحل غربا فى شمال أفريقيا الى مدينة « قورينا » وهى مدينة أنشأها اليونانيون فى الجبل على مقربة من البحر . وفى القرن السادس بعد الميلاد خربتها الزلازل ، واندثرت حضارتها ودفنت تحت الأنقاض ، ثم كشف حديثا عن آثارها كاملة ، ولكننا لا ندرى أين كانت تقع المدرسة القورينائية . وقد ذهب أفلاطون ليلقى هناك ثيودورس الرياضى ويتذاكر وإياه العلم الرياضى . ثم توجه بعد ذلك الى تارنتوم بجنوب إيطاليا ، وكانت معقل الفيشاغورين حيث التقى بزعيم المدرسة أرخيتاس الرياضى المشهور . جمع أرخيتاس بين العلم الرياضى ، والفلسفة ، والسياسة ، كما كان قائدا مظفرا ، وقد انتخبه

أهل مدينته حاكما عليهم ، فكان بذلك الحاكم الفيلسوف  
الذى لعبت صورته في خيال أفلاطون ورأى في هذه الصورة  
النموذج لرئيس المدينة الفاضلة .

ولم يلبث أفلاطون أن اتجه الى صقلية واتصل في  
سراقوسة بديونشقيق زوجة ديونيسوس طاغية سراقوسة .  
وغضب ديونيسوس على أفلاطون بسبب انتقاد الفيلسوف  
لسياسته ، فأمر به أن يباع في أسواق العبيد ، وبيع فعلا  
في أيجينا بثلاثين ميناى ، وافتداه تلاميذه ، وفكوا أسره ،  
وعاد الى أثينا سنة ٣٨٧ قبل الميلاد ، وقد بلغ الأربعين  
من العمر ، فبادر بإنشاء الأكاديمية .

اختار للمدرسة مكاناً خارج أسوار أثينا على مقربة من  
بابها الغربى ، وهو عبارة عن بستان كان ملكا للبطل  
« أكاديموس » ، الذى ينسب اليه المكان فقيل أكاديمية .  
وكان يؤدى الى هذا البستان طريق يحف به من الجانبين  
تمثيل عظماء اليونان ، ومنهم بركليس . وكان ذلك المكان  
أثيرا عند سقراط لنضرة زرعه ، وصفاء مائه ، وكثرة  
جداوله ، وقد وصفه أفلاطون في افتتاح محاوره  
« فيدروس » حيث ذهب سقراط وتلميذه فيدروس  
وكلاهما حافى القدمين يخوضان في ماء الجدول ، ثم جلسا  
على الأرض في ظل شجرة باسقة . والى جانب ذلك كان  
المكان مقدساً ، وهب للالهة « أثينا » ، وأقيم فيه معبد  
لتمجيدها تحيط به أحراج شجر الزيتون ، الذى كان



يُمنح زيتُه للفائزين في أعياد « البانائيناي » أكبر أعياد  
أثينا . هذا فضلا عن ملعب رياضي أنشأه قائد أثينا  
المسمى قيمون في أوائل القرن الخامس . في هذا المكان  
المقدس ، أو هذه الضاحية البديمة اشترى أفلاطون  
البستان وقطعة الأرض التي أقيم عليها بناء المدرسة .  
ولسنا نعرف على التحقيق على أي هيئة كان مبنى  
المدرسة ، وأكبر الظن أنها كانت تشمل معبداً لربات الفنون ،  
وحجرات للأساتذة والطلبة ، وقاعات للاجتماعات ،  
والاستماع إلى المحاضرات ، وتناول الطعام مشتركين معاً .  
وقد جرت العادة في أيام الصيف أن يستمع الطلبة  
للمحاضرات في « مماشى » البستان ، أو في ظل الرواق .  
وهذه العادة مع أنها كانت عامة في معظم المدارس الفلسفية  
في ذلك الحين ، نغنى أن يتلقى الطلبة الدرس وهم يمشون  
حول الأستاذ ، إلا أن المدرسة التي اختلفت باسم المشائين  
هي مدرسة أرسطو دون غيرها من المدارس .

وكانت المدرسة أشبه بفرقة دينية ، فيها المعبد الموهوب  
لربات الفنون ، والذي كان الطلبة يقدمون إليها الأضحية في  
أوقات معلومة ، وبخاصة لهرمس اله الحكمة . وكانت  
المعيشة بين أعضاء المدرسة - رئيساً وطلبة - مشتركة في  
الملبس ، والماكل ، والنوم ، وبعض لوازم اختصاصت بها  
المدرسة مثل طريقة تصفيف الشعر ، واتخاذ قلنسوات  
فوق الرأس ، والالتكاء على العصا .

كان أفلاطون صاحب المدرسة ، ومالك الأرض والبناء ، وهو الرئيس . وقد وضع للمدرسة نظاماً للرياسة بعد وفاته ، هو نظام التعيين بالوصية . غير أن الرياسة أصبحت تتم فيما بعد بالانتخاب السرى من جميع أعضاء المدرسة . ولم يكن أفلاطون - على عكس السفسطائيين - يتناول أجراً على التعليم ، فقد كانت هناك مدارس في أثينا تتقاضى أجوراً فادحة مثل مدرسة « ايسقراط » التي كانت تعلم الخطابة بوجه خاص . وقد امتنع أفلاطون عن أخذ الأجر على التعليم اتباعاً لسنة سقراط الذى كان يرى أن المعرفة لا تعلم بل تنكشف للانسان من باطن النفس ، أو أن العلم تذكر والجهل نسيان بحسب عبارته المشهورة ، فكيف يتقاضى المعلم أجراً على شيء لا يملكه ولا يمنحه . وإذا كان سقراط على فقره لم يؤثر عنه تناول الأجر ، فمن باب أولى يمتنع أفلاطون سليل الأرسقراطية والثراء . فضلاً عن ذلك فإن « ديون » دفع مبلغاً كبيراً هو الذى اشترى به أفلاطون الأرض والبستان ، وكان الأغنياء يمنحون المدرسة هبات سخية ، كما كان الطلبة الأثرياء يعينون المدرسة ، كل على قدر استعداده .

وحيث كانت طبيعة الدراسة تعتمد على الحوار والمناقشة ، فلم يكن من المهم أن تتم الدراسة داخل قاعات مجهزة بأدوات ، وبخاصة الأدوات والأجهزة العلمية ، التى يحتاج إليها كل من الأستاذ والتلميذ لتوضيح بحثه . كان

المحاضر في الأكاديمية يجلس فوق كرسي عال في الرواق ، ويجلس حوله التلاميذ على أرائك من الحجر . وأيضا فقد كان من المؤلف أن يحاضر الأستاذ وهو يمشى وحوله تلاميذه . ولم يؤثر عن أفلاطون أنه كان يحاضر من كتاب ، أو حتى من مذكرات مدونة . ولكن بعض تلاميذه كانوا يقيدون عنه بعض المذكرات وبخاصة محاضراته « في الخير » . ومن طريف ما يروى أن أحد التلاميذ ذهب يستمع عن أفلاطون هذه المحاضرات التي ذاع صيتها عن الخير ، فأصيب بخيبة أمل شديدة لأنه سمع محاضرات في الهندسة والفلك .

والثابت أن أفلاطون كان يرى أن الفلسفة لا تدوين ، وقد تأثر في ذلك بأستاذه سقراط الذي أنفق حياته يناقش ويحاور ، ولم يخلف شيئا مدونا . حقا ظهر قبل أفلاطون وقبل سقراط جماعة من الفلاسفة دونوا فلسفتهم في كتب ، وكانت تلك الكتب متداولة وبعضها يباع بثمن زهيد ، وكان بعض تلك الكتب منظوماً في قصائد مثل فلسفة بارمنيدس أو أنبادقليس . ولكن أفلاطون اختلف عنهم ، لأن الحكمة الصحيحة لا تدون . وقد كتب في الخطاب السابع الى ديون ما نصه : « ان حقائق الفلسفة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ كما يمكن في غيرها من الموضوعات : ذلك أنه بعد أن يتلقى المرء المعرفة من مرشد صادق في هذه الدراسات الفلسفية ، وبعد الانقطاع بعض الوقت الى صحبة ذلك المرشد ، اذا ببريق من الفهم يضيء النفس . . . . . ولست اعتقد أن الكتب

المؤلفة في هذا الباب تفيد الناس أية فائدة ، اللهم إلا بالنسبة لعدد قليل ممن يستطيع أن يكشف الحق بنفسه . والسبب الحقيقي الذي من أجله رفض أفلاطون كما رفض سقراط من قبل تدوين الفلسفة هو أن وظيفتها احياء النفوس وصقلها وتركيتها لتكشف الحقائق بنفسها من ذات نفسها ، لا أن تأخذ الحقائق عن الفلاسفة ، وأن تتلقونها وتحفظها وترردها ، كما أصبحت في العصر المدرسي فجهدت وماتت .

ولكن وصية أفلاطون لم تنفذ حرفيا ، فان بعض تلاميذه وبخاصة أرسطو روى لنا آراء استاذه ، لا على سبيل الرواية التاريخية ، بل ساقها في معرض النقد ، كما فعل في كتاب ما بعد الطبيعة حين صور آراء أفلاطون في أن المثل أعداد ، ثم نقدها . ومع ذلك فان الاعتماد على أرسطو في معرفة رأى أفلاطون خطر ولا يؤمن ، كما أنه من الخطورة الاعتماد على أفلاطون في معرفة آراء سقراط .

فنحن نعرف أن أفلاطون كتب عدة محاورات بقى منها ثمان وعشرون واحدة من أهمها الجمهورية والنواميس ، وأجرى فيها الحوار على لسان سقراط مما يجعل المرء يمتقد أن ما ورد في هذه المحاورات إنما هو آراء سقراط لا أفلاطون . والحق في ذلك أن بعض المحاورات يصور أفكار سقراط ، وهي المحاورات السقراطية ، وبعضها الآخر يصور آراء أفلاطون ، والمؤرخون مختلفون في تحديد هذا

النوع أو ذلك . هذه المحاورات ، سواء منها السقراطية أم الأفلاطونية ، خاطب بها أفلاطون الجمهور الواسع وليس خاصة تلاميذه . وقد لقيت المحاورات نجاحا منقطع النظير ، وكان الناس يقرءونها بصوت عال ، وكانت تمثل على خشبة المسرح زمان شيشرون . ومع أن أفلاطون حذر طلابه من تدوين الفلسفة ، وأعلن صراحة أن هذه المحاورات لا تعبر عن آرائه الفلسفية ، إلا أن المتأخرين اعتمدوا عليها في معرفة فلسفته ، وبخاصة في نظرية المثل . وكانت المحاورات ، أو على الأقل بعضها ، مثل فيدون ، وطيمائوس ، والجمهورية ، تدرس في الأكاديمية حتى زمانها المتأخر ، ويتولى الأساتذة شرحها . وكان الطلبة الذين يرحلون إلى أثينا لتعلم الفلسفة يجدون بغيتهم في هذه المحاورات وشروحها . ففي القرن الثالث بعد الميلاد نجد فرفيوس الصوري يحضر بعض الوقت على لونجينوس في أثينا وشروحه على محاورات أفلاطون .

ليس معنى ذلك أن المحاورات لم تكن في زمان أفلاطون ، ووقت كتابته لها ، تدرس في الأكاديمية . كانت متداولة ، ولكنها لم تكن أساس التدريس . كان الطلبة يطلعون عليها كأي فرد من أفراد الجمهور . ولعلهم كانوا ينتقدون الأفكار التي عرضها أستاذهم فيها ، ولذلك تعاقبت المحاورات ، يعدل اللاحق منها السابق ، وتطورت آراؤه بفضل حرية النقد والمناقشة . وكان النقد جريئا مرأ لا يرحم ، أطلعنا

أرسطو الذى كان تلميذا بالأكاديمية على طرف منه ، وأرسطو هو القائل فى كتاب الأخلاق : أحب أفلاطون وأحب الحق ولكن حبى للحق أعظم . انه يعترف بصداقته لأستاذه ، ومحفته له ، ولكنه لا يتنازل عن التمسك بالحق فى سبيل الصداقة .

ولما كان الغرض الأساسى من انشاء الأكاديمية تخريج طائفة من الحكام والساسة ، فمن الطبيعى أن تكون دراسة الشرائع وأصولها وأنظمة الحكم الصالح هى التى تكون منهج الدراسة . ولهذا السبب لجأ إليها أهل المدن المجاورة يطلبونها فى التشريع ، كما فعل ايباموننداس عندما طلب تشريعا لمدينة ميغالوبوليس . والى جانب ذلك كانت الأكاديمية تدرس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى . وقد مر بنا كيف كان يتوقع الذين حضروا دروسه فى « الخير » أن يسمعوا شيئا عن القضايا ، فاذا بهم لا يسمعون الا فلكا وحسابا وكلاما عن الواحد والمحدود وغير ذلك من الأمور الرياضية . ذلك ان الرياضة كانت عند أفلاطون مدخلا لا غنى عنه الى الفلسفة ، ولذلك كتب على باب الأكاديمية العبارة المشهورة : « من لم يكن مهندسا فلا يدخل علينا » . ومن الفروض الفلكية التى كانت سائدة فى المدرسة انتظام حركة الأجرام السماوية ، وعلى أساس هذا الغرض كان علماء الأكاديمية يفسرون تحير الكواكب .

من أولئك العلماء الذين عاونوا أفلاطون ، وكانوا سبب شهرة الأكاديمية رياضيا ؟ من الصعب معرفة أسمائهم واحدا واحدا . ثم ان التلاميذ بالنسبة لأستاذهم لم يكونوا طلبة بمقدار ما كانوا أصحابا . ونحن نعلم أن افلاطون ذهب للقاء ثيودورس الرياضى ، وأرخيتاس الفيثاغورى ، وأوقليدس الميجارى ، كل فى موطنه ، ولم يكن بالنسبة اليهم تلميذا ، كذلك كان يحضر المدرسة عند أفلاطون عدد من الأصحاب يمكن أن يعدوا من علماء الأكاديمية ، منهم ثيتاتوس ، وايدوكسس ، بل يذهب بعض المؤرخين الى أنهم فعلا من تلامذة افلاطون .

ولسنا نعلم عن ثيتاتوس الا النزر القليل ، ومع ذلك فقد خلد افلاطون اسمه حين جعل محاوره برأسها تحمل اسمه ، وكل ما نستفيده عن حياته من هذه المحاوره انه كان من أهل اثينا ، وأنه تعلم على يدى سقراط وثيودورس القورينائى ، وأنه كان معاصرا لأرخيتاس وافلاطون . ويبدو أنه كان رياضيا بارعا وصاحب كشف جديدة فى هذا العلم العجيب ، مما حدا بأفلاطون الى أن يخلد اسمه . والمشهور أن هذه المحاوره تبحث فى نظرية المعرفة وكيفية اكتسابها ، أمن الحس أم من العقل . ولكن ثيتاتوس الى جانب ذلك ، بل قبل أن يكون فيلسوفا ، فهو رياضى له رأى فى الأعداد الصماء ، والكميات الصماء - أى التى لا تخضع للقياس - ورأى فى الجسومات المنتظمة .

أما « يودكسس » فأصله من كنيديوس ، تعلم الهندسة على يد أرخيتاس ، ثم رحل الى أثينا وهو في الثالثة والعشرين من العمر بعد افتتاح الأكاديمية بعامين ( افتتحت الأكاديمية ٣٨٧ ق.م ) . وكان في صباه شديد الفقر ، ولكنه اكتسب ثروة كبيرة من التعليم ، بعد أن ذهب الى مصر وظفر بشهرة واسعة في الفلسفة والرياضة والفلك . وقد طلع بنظرية جديدة في التناسب ، واكتشف « القطاع الذهبى » ، أى « أجمل » قسمة لخط أو كمية ، قسمة ذات وسط وطرفين . ويمكن القول انه انشأ علم الفلك مفسرا حركات الكواكب بنظرية كرات تدور على محاورها ، ومنتحدة المركز .

ليس معنى ذلك ان هذين الاثنيين هما وحدهما العالمان اللذان تخرجا في الأكاديمية ، فهناك أسماء تتردد أيضا ، منها ليوداماس ، ونيقوليدس ، وليون . وهؤلاء الثلاثة كان لهم أثر في تقدم الهندسة وتنظيم دراستها ، وزيادة نظرياتها ، وترتيبها ترتيبا علميا ، فكانوا بذلك أصحاب الفضل في التمهيد لظهور أقليدس صاحب الهندسة .

ومن الطبيعى أن يكون منهج البحث ملائما للعلوم الرياضية التى اشتهرت بها الأكاديمية . وقد بدأت المناهج تتميز بوضوح منذ سقراط الذى اشتهر بمنهج : « التهكم والتوليد » . والمنهج السقراطى يعتمد أساسا على الحوار ، لأن المباحث التى خاض فيها هى العلوم الانسانية من أدب



وفن ولفة وشعر ودين وأخلاق واجتماع وسياسة . وقد اتبع هذا المنهج فى الأكاديمية وتصوره المحاورات أجمل تصوير ، وهو منهج يقوم على تعريف المعانى الكلية ، وتحديد الألفاظ ، والاستقراء .

والأصل فى المحاوره انها مناقشة تتم بين شخصين - أو أكثر - وتسمى باللغة اليونانية «ديالوج» من المقطعين « ديا » و « لوجوس » أى الكلام أو القول بين اثنين . وقد تطور الحوار عند سقراط الى « الجدل » عند أفلاطون وهو يعنى باليونانية « دياكتيك » من المقطعين « ديا » و « لكتيكون » أى كلام أو حديث . والفرق بين الديالوج والديالكتيك أن الحوار حديث بين شخصين ، والجدل حديث بين الشخص نفسه ، فهو تفكير يدور داخل النفس ، ومنه عند أفلاطون جدل صاعد ومنه جدل نازل . والجدل بهذا المعنى هو المنهج الفلسفى بلا منازع ، لأن النفس تصعد الى المثل أى الحقائق ، ثم تنزل من عالم المثل الى عالم الحس ، وتهبط من عالم الثبات الى عالم التغير .

أما المنهج الملائم للرياضيات فهو التحليل والقسمة . ويقال أن أفلاطون هو الذى اخترع طريقة التحليل ، ثم وهب المنهج الى تلميذه ليوداماس . والتحليل باليونانية « أنالوسيس » ( Analysis ) ، وهو الذى أصبح فيما بعد أساس المنطق الأرسطى فى كتابيه الرئيسيين أنا لوطيقا الأولى وأنا لوطيقا الثانية ، أى القياس والبرهان . خذ مثلا

لذلك فكرة « المساواة » وكيف يحلها في محاوره « فيدون » من النظر الى قطع متساوية من الخشب . ويقول بروقلس في تعليقه على الكتاب الأول لأوقليدس عن ليوداماس : « ان أفلاطون شرح له طريقة التحليل فكانت عوناً له في الكشف عن أمور هندسية كثيرة » .

ولقد اشتهرت الأكاديمية باستخدام منهج القسمة ، وبخاصة القسمة الثنائية . وفي محاوره السفسطائي نموذج لهذا المنهج . والقسمة مفيدة في التصنيف والتعريف . تدور محاوره السفسطائي بين ثيودورس القورينائي ، وثيتاتوس الرياضي ، وسقراط ، وشخص رابع من ايليا . وقد حاول المتحاورون - وهم كما نرى رياضيون - تحديد معاني السفسطائي ، والسياسي ، والفيلسوف . فالسفسطائي يعالج فنا من الفنون ، والفنون اما أن تكتسب واما أن تبتدع .

والفنون المكتسبة اما أن تكون بالتعلم أو المحاكاة ، وهي كالتجارة ، والحرب ، والصيد . والصيد أنواع ، منه اقتناص الأحياء ، ومنه اقتناص غير الحي .

وصيد الأحياء أنواع ، مثل صيد السمك في البحار ، والطيور في الهواء ، والدواب على ظهر الأرض . وذلك بضروب مختلفة من الشباك والفخاخ والصنابير . والسفسطائي صائد ، وفنه مكتسب ، وصناعته اقتناص

الناس من ذوى الحسب والمال ، يقدم لهم ما مقابل ما يأخذه من أجر .

فهذا نموذج للقسمة الثنائية ، ومنهج القسمة وفائدته في التعريف والتصنيف .

ولم تكن الأكاديمية مقصورة في أبحاثها على العلوم الرياضية فقط ، بل كانت تبحث أيضا في علوم الحياة . ولكن اتجاه المدرسة بوجه عام كان نحو الرياضيات . وقد احتفظ أحد شعراء الكوميديا بصورة تحكى ما كان يجرى في الأكاديمية من بحث في النبات . قال افكراتس شاعر الكوميديا في تمثيلته التى يدور فيها الحوار على النحو التالى :

« أخبرنى عن أفلاطون ، وسبسيبيوس ، ومينديموس ماذا يعملون الآن ؟ أى فكرة عميقة يبحثونها وأى جدل شديد يدور بينهم ؟

— انى أعرف كل شىء وسأخبرك ببساطة . فى عيد البنائينى رأيت جماعة من الشباب فى ملعب الأكاديمية ، وهناك سمعت أمورا بعيدة عن التصديق . كانوا يعرفون ويقسمون العالم الطبيعى ، ويميزون عادات الحيوان وطبائع الشجر وأنواع الخضر ، ورأيت معهم « يقطينا » كانوا يبحثون من أى نوع هو .

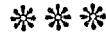
— وهل قرروا أى نبات هو ، ومن أى نوع ؟ أخبرنى أن كنت تعرف .

– حسنا ! لقد ظلوا جميعا اول الامر صامتين ،  
وانحنوا فوقها بعض الوقت يتأملونها . وفجأة وهم ما زالوا  
يفحصونها قال أحد التلاميذ انها خضر مستديرة ، وقال  
آخر انها حشيش ، وثالث انها شجرة . فلما سمع طبيب  
صقلى كان موجودا هناك ذلك الحديث انفجر ساخطا على  
الهرء الذى ينطقون به .

– احسب انهم لابد غضبوا غضبا شديدا وصاحوا في  
وجهه ، اذ من الفظاظة ان يفعل ذلك في وسط الحديث .

– لم أحفل بالتلاميذ ، ولكن أفلاطون الذى كان موجودا  
،خبرهم في عطف شديد وبغير انزعاج أن يحاولوا من البدء  
تعريف نوعها . ثم مضوا في تعريفاتهم » .

ويتضح من النص السابق أن الاكاديمية كانت تبحث  
في علوم الحياة . ثم ان سبسيبوس ابن أخت أفلاطون ،  
وخليفته في رئاسة المدرسة ، كتب فيما بعد مؤلفات في  
الحيوان والنبات بقى منها اجزاء تبحث في الاسفنج والمحار .  
وليس بعيدا أن الاكاديمية زمان أفلاطون كانت مجهزة  
بالادوات العلمية والخرائط ، ولا نزاع انها كانت مجهزة  
بالكتب . ولكن يمكن القول ان الاكاديمية اتجهت على العموم  
وجهة رياضية ، على حين اتخذت مدرسة أرسطو – وهى  
اللفيون – طابعا بيولوجيا طبيعيا .



يتضح مما سبق أن الأكاديمية اهتمت ببحث سائر العلوم والمعارف ، ولكنها قدمت بعضها على بعضها الآخر بحسب اتجاهها في الفلسفة . ويمكن تقسيم العلوم بحسب أهميتها أربعة أقسام هي الفلسفة ، ثم العلوم الانسانية من سياسة وأخلاق ونفس واجتماع ، ثم العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى ، ثم العلوم الطبيعية وعلوم الحياة . والفلسفة تاج هذه العلوم كلها ، وهي الغاية التي ينتهي اليها الطالب بعد أن يتبحر في العلوم وبخاصة الرياضيات . وتجتمع فلسفة أفلاطون في كلمة واحدة هي « المثل » ، وأفلاطون هو الذي ابتدع الفلسفة المثالية . ولا تزال المثاليات حتى اليوم تعتمد في نزعتها عليه .

المثل عند أفلاطون هي النماذج الثابتة الأزلية التي بها يفسر وجود الموجودات ومعرفتها . ولقد كانت المشكلة التي واجهها مفكرو الاغريق والتمسوا لها الحل هي أصل هذه الموجودات الكائنة ، والتي تظهر الى الوجود ثم تولى عنه . أى تفسير التغير والكثرة ، أهذه الكثرة حقيقية أم أنها تترد الى شيء واحد ، وهل هذا التغير الذي نشاهده حقيقي أم انه مظهر فقط يخفى وراء ثباتنا . واختلفت وجهات نظر الفلاسفة اليونانيين اختلافا كبيرا منذ القرن السادس ، بعضهم يقول بمبدأ واحد مادي ، كالماء ، أو الهواء ، أو النار ، وبعضهم الآخر يذهب الى القول بالعناصر الأربعة مثل انبادقليس ، وبعضهم الثالث يقول بالذرات مثل

ديمقريطس ومدرسته . هذا الى الفيثاغوريين الذين فسروا الوجود بالمبدأ الرياضى ، وبالشكل الهندسى . ثم ظهر بارمينيدس فى ايطاليا بجنوب ايطاليا فقرر ان « الوجود موجود » ، وانه واحد ، وانه ثابت ، وهذا هو طريق الحق . اما اذا سار الانسان فى طريق « الظن » فانه يرى الوجود كثيرا ، ومتغيرا .

والمثال الأفلاطونى جمع بين الواحد الفيثاغورى ، وبين الواحد البارميندى .

المثال الثابت الواحد هو أصل الموجودات المحسوسة المتغيرة .

هذا هو الحل السعيد الذى اهتدى اليه أفلاطون لتفسير وجود الموجودات الكثيرة المتغيرة فى عالم الحس .

ولكنه فطن الى عجز هذه النظرية وقصورها عن توضيح كثير من المشكلات التى تعرض للذهن . وقد انتقد أفلاطون نفسه ، وراجع فكره ، كما يتضح من محاوره بارمينيدس . وتساءل عن أصل المحسوسات : أهى « تشارك » فى المثال ، أم هى « محاكاة » للمثال . والمشاركة تفترض ان يكون المثال كلا ، وأن يكون كل واحد من المحسوسات جزءاً من هذا الكل . والمحاكاة تذهب الى ان المثال أصل ثم تتعدد المحسوسات عنه كما تتكثر الصور فى المرايا . وعندما نقلت الفلسفة اليونانية الى العرب ، أعجب الغزالي بنظرية المحاكاة وتشبيهه النفس بالمرآة التى

تنعكس على صور المثل ، فاصطنع هذه النظرية في كثير من كتبه .

والمثال لأنه معقول فلا مادة فيه ، والمحسوس لأنه مجسم مشخص فانه مادي . فكيف نشأ المحسوس المادي من المعقول اللامادي ؟ هذه هي جوهر المشكلة التي اضطر أرسطو - تلميذ أفلاطون - الى حلها بقوله ان المحسوس مركب من مبدئين الهولي والصورة ، والقول بأن العالم مادي . وليس معنى ذلك أن فلسفة أرسطو مادية ، بل تدل على تسليمه بوجود المادة الى جانب الصورة . وتتدرج المثل عند أفلاطون حتى تقف عند ثلاثة هي الحق والخير والجمال . ولا تزال هذه القسمة الثلاثية دارجة مألوفة حتى اليوم .



طال عمر الأكاديمية تسعة قرون ، إذ أنشئت ٣٢٧ ق.م ، في أثينا ، وأغلق الامبراطور جستنيان أبوابها ٥٢٩ بعد الميلاد . وتقلبت في أثناء عمرها المديد في عدة اطوار هي الأكاديمية القديمة والوسطى والحديثة ، ثم الأكاديمية بعد الميلاد . والتقسيم المذكور يرجع الى مؤرخي الفلسفة من المحدثين ، وهو مصطنع بعض الشيء ، إذ الحق في ذلك أن الطابع الذي يسود المدرسة في زمن معين انما يرجع الى شخصية رئيسها وتوجيهه .

تولى رئاسة المدرسة بعد موت أفلاطون اسبيسيبوس ابن أخته ، الذى أتم تنظيم المدرسة فى شكلها الأخير . واستمر رئيسا من ٣٤٧ ( أى بعد موت أفلاطون ) الى ٣٣٩ . وخلفه زينوقراط ٣٣٩ - ٣١٥ ، ثم بوليمون ٣١٥ - ٢٧٠ ، ثم أقرطس بعد ٢٧٠ ، وينتهى معه طور الأكاديمية القديمة ، التى امتازت بالسير فى الطريق الذى رسمه أفلاطون . وقد لمت فى تلك الفترة أسماء كثير من العلماء والفلاسفة ، نذكر منهم يودقسس ، وهرقليدس ، وغيرهما . ويقال ان كراتور تلميذ بوليمون هو أول من وضع شروحا لمحاورات أفلاطون .

ثم تحولت الأكاديمية الى نزعة الشك ، بدأت مع الرئيس أرفليسوس ، الذى يعد منشئ الأكاديمية الوسطى ، ثم أصبح هذا الاتجاه واضحا قويا على يد كارنيادس ، وتسمى الأكاديمية فى عهده ( ٢١٣ - ١٢٩ ) بالأكاديمية الثالثة . وقد أرسله الأثينيون فى سفارة الى روما ونجح فى مهمته .

وأكاديمية رابعة تحت رئاسة فيلون من أهل لاريسا ، وقد وجهها وجهة رواقية . وأكاديمية خامسة برئاسة أنطيوخس العسقلانى ( توفى ٦٨ ق.م ) الذى وفق بين الأفلاطونية والأرسطية والرواقية ، وتسمى هذه الأكاديمية الخامسة عادة بالأكاديمية الجديدة . ويمكن القول ان كارنياس وفيلون وأنطيوخس كان لهم الفضل فى نشر تعاليم



الأكاديمية بعد انتقالها الى جنديسابور محتفظة بهذه التعاليم  
بفيلون وأنطيوخس واستمع اليها .

ومما يروى أن سلا عندما حاصر أثينا سنة ٨٦ ق.م  
احتاج الى خشب فقطع أشجار الأكاديمية ، التي انتقلت منذ  
ذلك الحين داخل أسوار أثينا . ومهما يكن من شيء فإن  
تاريخ الأكاديمية حتى القرن الخامس بعد الميلاد غامض .  
وكل ما نعرفه أنها ازدهرت في القرن الخامس ، وتجددت ،  
وأصبحت مركزا للأفلاطونية المحدثة ، المتأثرة بالفلسفة  
الاسكندرانية . وقد لمعت في هذه الفترة أسماء مشهورة  
بوجه خاص في الفلسفة العربية ، منهم بروقلس ،  
وفلوطارخس ، وسوريانس ، ودومنيونس ، وماريانوس ،  
وأيزودورس ، والدمشقي الذي كان آخر رئيس للمدرسة  
أى من ٥١٠ الى ٥٢٩ بعد الميلاد .

ويبدو أن السبب الرئيسى فى اغلاق الأكاديمية -  
وكذلك اللوقيون - انها كانت مهد التعاليم الوثنية . وكانت  
المسيحية قد تغلبت وسادت ، وأرادت أن تقضى على كل  
أثر للوثنية . وقد أثر فلاسفة الأكاديمية أن يهجروا المدرسة  
الى مكان آخر يارسون فيه تعاليمهم بحرية ، ورحب بهم  
كسرى أنوشروان ، وأنزلهم فى جنديسابور ، وترك لهم  
حرية البحث ، فنقلوا معهم الفلسفة والعلوم والطب . وظلت  
الأكاديمية فى العالم الرومانى ، وبخاصة أن شيثرون التقى  
الى أن انتقلت الى بغداد زمان العباسيين ونقلت علومهم

وفلسفتهم الى اللغة العربية . وهكذا نرى أن المدرسة  
الأصلية زالت من أئنا ، وتغير مكانها ، وكذلك لغتها ،  
ولكن تعاليمها لم تمت ، وظلت الأكاديمية حية بأفكارها  
وفلسفتها ، وقد عادت تعاليمها المثالية وفلسفتها الرياضية  
الى الظهور مرة أخرى في الوقت الحاضر ، معدلة بطبيعة  
الحال مع مقتضيات العصر والتطور الكبير الذي حدث خلال  
عشرين قرنا من الزمان .

## المسائية

### « اللوقيون أو الليسيه »

مدارس « الليسيه » معروفة بهذا الاسم ومشهورة في مصر ، وهى تلك المدارس التى تعلم الطلبة حتى يظفروا بإجازة البكالوريا ، أى المرحلة السابقة مباشرة على التعليم الجامعى . وهذا النوع من التعليم فى الليسيه منتشر فى فرنسا ، وعنها أخذنا هذا اللون من المدارس .

والليسية « Lycée » هى الاسم الفرنسى الذى أصبح يطلق على الاسم اليونانى Lyceum ، أو الأصح بالرسم اليونانى Lykeum وقد عربها القدماء فقالوا « اللوقيون » وهى المدرسة التى أنشأها أرسطو فى أثينا ، وكان يمارس التعليم فيها ، وأصبحت تنافس الأكاديمية والمدارس الأخرى اليونانية . ومدرسة أرسطو مدرسة فلسفية عليا ، وليست ثانوية كالليسيه حديثا ، ولذلك ينبغى عدم الخلط بينهما ، والاعتقاد بأن الليسيه الحاضرة هى اللوقيون قديما أو استمرار لها .

وتعرف مدرسة أرسطو باسم آخر ، وبخاصة عند

العرب ، هي مدرسة المشائين ، لأن المعلم وتلاميذه كانوا يتعلمون وهم يمشون . وسبق أن ذكرنا أن هذه السنة لم تكن مقصورة على الطلبة في مدرسة أرسطو فقط ، بل كانت شائعة في جميع المدارس الفلسفية في بلاد اليونان ، وذلك لطبيعة الجو الحار الذي يسود أئينا معظم أوقات السنة ، فكان الطلبة إما أن يسيروا في الماشى تحت ظلال الأشجار ، أو يسيروا جيئة وذهابا في « الرواق » داخل المدرسة . مهما يكن من شيء فقد اشتهرت مدرسة أرسطو باسم المشائين .

وقد ظلت اللوقيون باقية في أئينا تنافس الأكاديمية وتمتاز عنها بلون خاص ، الى أن أغلق الامبراطور جستنيان أبواب المدرستين . ومع ذلك فان تاريخ اللوقيون أغمض من صاحبها ، الا أن اللوقيون - أو المشائية - أشهر في الزمن القديم . وكما يتصل انشاء الأكاديمية باسم صاحبها وفلسفته ، كذلك يتصل اللوقيون باسم منشئها ومؤسسها وصاحبها أرسطو ، فهي ثمرة غرسه ، ونتاج فلسفته . وإذا كان أفلاطون قد أنفق أربعين عاما يشيد صرح الأكاديمية ، اذ أنشأها سنة ٣٨٧ ق.م واستمر رئيسا لها الى أن توفي سنة ٣٤٧ ق.م ، فان أرسطو لم يستمر على رأس مدرسته سوى اثنى عشر عاما ، لأنه لم يفتتحها الا وهو في الخمسين من عمره . ولكن لماذا ترك أرسطو الأكاديمية التي تعلم فيها وكان من أبرز تلاميذها ، وقرر أن ينشئ مدرسة أخرى ؟

والجواب عن هذا التساؤل يقتضى منا ان نشير الى سيرة  
أرسطو بايجاز :

ولد أرسطو ٣٨٤ ق.م بمدينة سستاجيرا من أعمال  
خلكيس ، وذلك حين يقال الفيلسوف الاستاجيرى  
لا تنصرف هذه التسمية الا اليه ، او حتى حين يقال  
الاستاجيرى **The Stagirite** فقط . وكان أبوه  
نيقوماخوس من نسل أسقليبيداس طبيبا للملك أمنتاس  
الثانى ملك مقدونيا ، الذى أنجب فيليب والد الاسكندر .  
وكان الأطباء يورثون أبناءهم صناعتهم ، ومن هنا نشأ  
أرسطو على محبة العلوم الطبيعية وعلم الحياة ، وتدرّب في  
صباه على التشريح والجراحة . ولما بلغ الثامنة عشرة أوفد  
الى أثينا حيث التحق بالأكاديمية وظل فيها عشرين عاما .  
حقا كانت هناك عدة مدارس فلسفية فى اثينا ، ولكن  
الأكاديمية كانت أفضلها وأرقاها ، وقد تأثر أرسطو  
بشخصية أفلاطون وتعاليمه الى الأعماق ، وانطبع بطابع  
لا يحى ، على الرغم من معارضة الفيلسوف الاستاجيرى  
لنظرية المثل . وكان صاحب الأكاديمية يعرف فى تلميذه  
فضله وذكاءه ، فسماه « القراء » ، « والعقل » أى عقل  
المدرسة . وكثيرا ما يصف أرسطو نفسه فى كتبه بقوله انه  
أحد الأفلاطونيين ، أو بنص عبارته : « نحن الأفلاطونيين » .  
مما يدل على ولائه للأكاديمية .

ويذهب بعض المؤرخين من المحدثين الى تكذيب

الروايات القديمة التي تجمع على بقاء أرسطو عشرين عاما تلميذا بالاكاديمية . وهم يرون أنه اختلف الى أكثر من استاذ وبخاصة في البلاغة مثل ايسقراط وديموستين ، وأنه كان يتردد على الاكاديمية بين حين وآخر . ولكن الذي يدحض هذا التصور أن أرسطو كان يعارض مدرسة ايسقراط وكذلك مدرسة ديموستين ، لأنهما يعلمان على طريقة السفسطائيين التغلب على الخصم بسحر البلاغة ورنين الألفاظ ، لا بقوة المنطق والتفكير الشديد المحكم . ومما يروى ان أرسطو كان يلقي دروسا في الخطابة - وهو طالب في الاكاديمية - على الجمهور ينافس بها دروس ايسقراط .

ويبدو ان الطابع العام لجميع المدارس الفلسفية قديما كان واحدا ، فالمدرسة جماعة من الباحثين والمفكرين يرتبطون بروح مشتركة ويشاركون في آراء أساسية وفي الوقت نفسه يحتفظ كل واحد منهم باستقلاله في البحث . وهذا الاستقلال يفسر لنا اتجاه أرسطو منذ كان في الاكاديمية الى متابعة البحث في العلم الطبيعي ، كما ذكرنا قبلا .

لم يكن أرسطو الذي سماه أفلاطون القراء ، والعقل ، ليقبل أن يستمر في الاكاديمية تحت رياسة سيسيبيوس ، الذي مضى بعد موت أفلاطون يوجه المدرسة نحو الرياضة ، وأن يقلب الفلسفة - كما يقول أرسطو - الى رياضيات .

مهما يكن من شيء فلسنا ندرى الاسباب الحقيقية التي من اجلها هجر أرسطو الاكاديمية ، ورحب بدعوة زميل قديم له في تلك المدرسة هو « هرمياس » الذي أصبح حاكم أسوس وجمع حوله حلقة صغيرة من الافلاطونيين . وبعد ثلاث سنوات ذهب الى ميتلين في جزيرة لسبوس حيث لقي صديقه ثاوفراسطس زميله في الاكاديمية ، وخليفته فيما بعد على رئاسة اللوقيون . وترجع مباحث أرسطو ومشاهداته في العلم الطبيعي والبيولوجي الى اقامته في أسوس وميتلين . وفي سنة ٣٤٣ دعاه الملك فيليب لتثقيف ابنه الاسكندر ، فعلمه الياذة هوامروس ، ومبادئ الحكم . ولكن حقيقة التعليم الذي تلقاه الاسكندر من معلمه غير معروف . فلما توفي فيليب ٣٣٥ ق.م عاد أرسطو الى اثينا وانشأ اللوقيون وتلقى من تلميذه الاسكندر معونات كبيرة مالية وادبية .

\* انشا اللوقيون مدرسة فلسفية تختلف في اتجاهها عن الاكاديمية التي عنيت بالعلوم الرياضية . كانت الاكاديمية تقع خارج اسوار اثينا في الشمال الغربي من المدينة ، فاختر أرسطو لمدرسته موقعا في الطرف المقابل من المدينة شرقي الاسوار - او الشمال الشرقي - على مقربة من طريق مراثون ، اكبر الظن بين جبل ليكابيتوس ونهر اليسوس ، حيث كانت تقع ايكة مقدسة موهوبة للرب ابولون لوقيوس وربات الفنون ، وكانت تلك الايكة من الامكنة المحببة الى

سقراط وكان يرتادها كثيرا . أما لوقيوس التي منها اشتق اللوقيون ، فهو صفة لأبولون ، وتعنى الذئب ، أو رب النهار .

ولما كان أرسطو أجنبيا ، أى ليس مواطنا أثينيا ، فلم يكن له الحق فى امتلاك الأرض ، ولذلك استأجر بعض الأبنية وجعلها نواة مدرسته . وفى جوار ذلك المكان كان « يتمشى » هو وتلاميذه فى الماشى ، وتحت ظل الأشجار ، ذهابا وحيثة ، ولذلك سمي أتباعه بالمشائين ، ولو أن هذا الأسلوب فى التعليم ، كما ذكرنا من قبل ، لم يكن مقصورا على أرسطو وحده ، والتعاليم المشائية هى المأخوذة عن مدرسة أرسطو .

ومما يروى أن أرسطو كان يلقي نوعين من الدروس ، صباحية خاصة لتلاميذه ، وتسمى « سماعية » أو « مستورة » ، ومسائية للجمهور الواسع وهذه أقل صعوبة من الأولى ، وتسمى علانية أو « منشورة » **Exoteric** . ليس معنى ذلك أن أرسطو كان يضيف على دروسه الصباحية صفة السرية ، وأنه كان يحجبها عن الجمهور ؛ كلا ، بل الأمر أن دروس الصباح كانت تهم فئة قليلة من المشتغلين بالمسائل الفلسفية العويصة ، كالمنطق ، والميتافيزيقا ، والعلم الطبيعى ، على حين أن الدروس الأخرى كالأخلاق والسياسة كانت تجذب أسماع الجمهور ويعجب بها ، ويقبل عليها .



وأكبر الظن أن أرسطو جمع في مدرسته بضع مئات من الكتب المخطوطة - ولم تكن الكتب المخطوطة بطبيعة الحال - فكانت أول مكتبة في التاريخ ، وأصبحت نموذجاً احتذت مثالها مكتبة الاسكندرية وغيرها من المكتبات . وكذلك اقتنى عدداً من الخرائط ومتحفاً من نماذج شتى لأحجار ومعادن ونباتات وحيوانات ، ليستعين بها على توضيح محاضراته . ويقال ان الاسكندر وهبه مبلغاً كبيراً من المال لاقتناء هذه الأشياء ، وأمر جميع الصيادين في الامبراطورية ان يقدموا له نماذج مما يصيدونه في الجو أو على ظهر الأرض أو في الماء .

ولم يكن الاسكندر وحده راعى أرسطو وحاميه ، بل كذلك « أنطيطر » الذي خلف الاسكندر في مقدونيا وصيا على العرش . ونحن لا نعلم حقيقة العلاقة التي كانت تربط بين أرسطو وأنطيطر الذي لم يعرف عنه ميول نحو البحث الفلسفي ، ولكنه كان صديق أرسطو عندما عاش في بلاط فيليب . ويكفي أن هذه الصداقة بلغت من الوثاقة حداً يجعل أرسطو ينص في وصيته على تعيين أنطيطر منفذاً لها . وهكذا لقيت اللوقيسون التأييد من أكبر ملك عرفه التاريخ ، وأخلص وصى على عرش مقدونيا ، فلا غرابة أن تبدأ المدرسة قوية الى الحد الذي تبرز فيه على الأكاديمية نفسها ، ولم يكن زينو قراط رئيسها الثالث الذي انتخب بعد موت أسبيسيبيوس خليفاً أن يقف في كفة واحدة مع

أرسطو ، ولعل ذلك كان من جملة الأسباب التي دعت إلى افتتاح مدرسة جديدة لأنه أنف أن يعمل تحت رياسة زينوقراط .

ونحن اذا كنا نجهل حقيقة الدروس التي كانت تلقى في الأكاديمية ، ولا نعلم سوى الجانب الشعبي من تعاليم أفلاطون في محاوراته التي كان يخرجها للجمهور بين حين وآخر ، هذه المحاورات التي لا يزال معظمها موجوداً بين أيدينا حتى اليوم ، فان هذا الجانب الشعبي في تعاليم أرسطو ، نعنى محاوراته الرائعة الأسلوب التي وصفها شيشرون بأن أسلوبها يجري كأنه نهر من ذهب ، أضحي مفقوداً منذ فقدت هذه المحاورات بعد أن استمرت ثلاثة قرون من الزمان يقرؤها جمهور المثقفين جنباً إلى جنب مع محاورات أفلاطون . ولكننا لحسن الحظ نعلم تمام العلم حقيقة الدروس التي كان يلقيها أرسطو في داخل المدرسة ، لأن كتبه ابتداء من المنطق إلى الميتافيزيقا لا تزال باقية ، وسنتحدث عنها فيما بعد .

ولا بد أن الأبنية التي كانت تشغلها المدرسة كانت متعددة واسعة ، يتخذ بعضها لسكنى الطلبة ، وبعضها الآخر حجرات للمحاضرات ، وبعضها الثالث لحفظ الكتب والخرائط وما أشبه . واحد هذه الأبنية كان معبداً لربات الفنون - أو متحفاً كما نقول اليوم **Museum** - ولفظ المتحف بالأجنبية نسبة إلى « موزايوس » أي ربات الفن .

وأقيم في المتحف تمثال لأرسطو ، يقول ثاوفراسطس انه  
تمثال نصفي ، وقد أوصى أن يوضع في المعبد .  
ولما كان أرسطو أجنبيا عن أئينا ، ولم يكن له حق امتلاك  
الأرض كما ذكرنا ، فقد وهب ديمتريوس الفاليري - تلميذ  
ثاوفراسطس - الأرض وما عليها من أبنية لثاوفراسطس .  
وفي وصية ثاوفراسطس التي حفظها لنا التاريخ يقول :  
« البستان ، والممشى Peripatos ، والمسكن الملحقة  
بالبستان ، أهبها كلها لأصدقائنا الذين يرغبون في بحث  
الأدب والفلسفة بحثا مشتركا ، ما دام ليس من اليسور  
لكل الناس أن يكونوا مقيمين اقامة دائمة ، بشرط الا يفسد  
أحد الأبنية او يقصرها على استعماله الخاص ، ولكن الشرط  
أن يلكوا المدرسة وكأنها معبد من الأملاك العامة ، وان  
يعيشوا معا معيشة لائقة على أساس من الصحبة  
والصداقة » .

وتدل هذه الوصية على ان روح أرسطو التي زرعتها في  
تلاميذه كانت لا تزال ترفرف عليهم . وقد وضع لهم  
أرسطو دستوراً للمدرسة يتبعونه في الطعام والشراب  
والنوم . ومن دستور المدرسة ان يجتمعوا مرة كل شهر  
حول مائدة للطعام أو الشراب ، على طريقة مأدبة أفلاطون ،  
رمزاً للمعيشة المشتركة . وفي وصية ستراتون الرئيس  
الذي تولى بعد ثاوفراسطس رئاسة المدرسة نجد قائمة  
بالأدوات التي وهبها للرئيس الذي عهد اليه بالمدرسة من

بعده ، وهذه الأدوات هي الملاءات الخاصة بالولائم وكؤوس الشراب وجميع الأثاث الموجود في صالة الطعام . ويبدو أن هذه الأدوات استمرت تستكمل على مر الزمن ، حتى أن المدرسة تحت رياسة ليقون الذى تولى بعد ستراتون وجهت اليها كثير من الشكوى لأن الطلبة الفقراء لا يستطيعون المشاركة في المآذب بسبب ما فيها من ترف شديد . مهما يكن من شيء فان أرسطو كان قد وضع دستوراً للشراب وللمآذب ، كما كانت الحال في الأكاديمية ، وفي معظم المدارس الفلسفية التي وجدت في ذلك الحين .

ولسنا ندرى شيئاً عن الرسوم الدراسية ، ولكن يبدو أنها كانت بحسب مقدرة كل طالب ، ولعل الفقراء لم يكونوا يدفعون شيئاً . ولذلك كانت المدرسة تعيش على هبات الأغنياء من جهة ، وعلى ما يدفعه الطلبة القادرون من جهة ثانية .

ولسنا ندرى عدد التلاميذ الذين كانوا يحضرون دروس أرسطو ، ولكن يبدو أنهم كانوا عدداً وفيراً . فقد حدثنا ديوجينيس اللايرسى في كتابه : « سيرة الفلاسفة » عند الكلام عن ثاوفراسطس أن ٢٠٠٠ طالب اعتادوا حضور دروسه ؛ ولو أننا نشك في هذا العدد ، فإذا كان ثاوفراسطس وهو تلميذ أرسطو وأقل منه شهرة حظى بهذا العدد من التلاميذ ، فلا بد أن عدد تلاميذ أرسطو كان أكثر . ولم يبين ديوجينيس عددهم ، ولكنسه قال أنهم كثير ، أبرزهم

ثاوفرأسطس . ولا بد أن هذا العدد الكبير هو الذى كان يحضر الدروس المسائية ، أما الدروس الصباحية ، أو السماعية ، فلم يكن العدد يتجاوز بضع عشرة تلميذا . فما هى الدروس التى كان أرسطو يلقيها عليهم ؟

يختلف أرسطو عن أستاذه أفلاطون مزاجاً ومنهاجاً وفلسفة . صاحب الأكاديمية كان يرى أن الفلسفة شئ يدرك بالحدس ، والرؤية الباطنة ، واتصال النفس بالحقائق الأزلية ، ولذلك عرف الفلسفة بأنها « رؤية » الحق ، وجدير من يبلغ الحق عن هذا الطريق أن يحتفظ به سراً من أسرار النفس ، اذ يصعب التعبير عن الحق باللفظ واللغة . ولذلك حذر أفلاطون فى أكثر من موضع من محاوراته الناس أن « يدوتوا » الفلسفة ، لأنها تدرك وتحس فقط . وقد ذكرنا قبلاً أن محاورات أفلاطون لم يودعها فلسفته التى كان يدرسها فى الأكاديمية ، وإنما عرفنا تلك الدروس مما ذكره بعض تلاميذه ونقلوه عنه وعلى رأسهم أرسطو .

كان ذلك رأى أفلاطون : أن الفلسفة حوار يدور بين عقليين ، أو « جدل » يصعد فى باطن النفس الى آفاق المثل الخالدة ، ويهبط من سماء المثل الى عالم المحسوسات والتغير . ولكن أرسطو كان له فى الفلسفة رأى آخر ، فهى البحث عن العلل الأولى والغايات الأخيرة ، وهى ضرب من البحث المنظم الذى يعتمد على منهج آخر خلاف الحوار

وخلاف الجدل ، ذلك المنهج هو « المنطق » الذي ابتكره  
أرسطو حتى اشتهر به ، ولقبه المتأخرون وبخاصة العرب :  
« صاحب المنطق » .

ولم يكن أرسطو يذهب الى القول بعدم تدوين الفلسفة ،  
لأن وجهة نظره نحو تفسير الموجودات تختلف عن وجهة  
نظر أفلاطون . فالفلسفة عند أرسطو هي « العلم بالموجود  
من حيث هو موجود » ، أى أنه يقر ويعترف بالموجود  
المحسوس ، وما دام الأمر كذلك فالمحسوس مركب بلا نزاع  
من « مادة » أو بالاصطلاح اليونانى الذى دخل لغة العرب  
من « هيولى » . أما أفلاطون فقد ضرب عن المادة صفحا ،  
وفسرها تفسيرا رياضيا ، وزعم أن « المثل » هي أصل  
الموجودات المحسوسة .

من هنا كان اتجاه أرسطو طبيعيا ، وكان اتجاه أفلاطون  
رياضيا . ولعل هذا الخلاف فى الاتجاه كان من جملة  
الأسباب التى دعت أرسطو أن يهجر الأكاديمية وأن يفتتح  
مدرسة جديدة . والفلسفة الطبيعية تبحث فى أمور غير  
تلك التى تبحث فيها الفلسفة الرياضية ، فضلا عن اختلاف  
المنهجين واختلاف الأسلوبين واختلاف النزعتين .

وقد خُلف لنا أرسطو مؤلفات فى جميع المعارف ابتداء  
من المنطق بأجزائه والطبيعة وعلوم الحياة الى الميتافيزيقا  
والأخلاق والسياسة . وكانت تلك المؤلفات متسلسلة فى  
داخل المدرسة حول ثلاثة قرون من الزمان ، الى أن رتبها

أندرونيقوس الروديسي في القرن الأول قبل الميلاد هذا الترتيب المعروف حتى اليوم ، واكتسبت هذه المؤلفات أسماء لم تكن لها زمان أرسطو .

مثال ذلك أن كتاب « الميتافيزيقا » لم يؤلفه أرسطو بهذا الاسم ، بل الفن الذي يبحث فيه هو أما الفلسفة الأولى ، وأما الالهيات . أما الميتافيزيقا فهو اسم وضعه أندرونيقوس للدلالة على ترتيب الكتب التي جاءت « بعد » الكتب الطبيعية ، لأن « ميتا » باليونانية تدل على « بعد » ، ولذلك قال العرب في ترجمتهم لهذا الكتاب انه كتاب « ما بعد الطبيعة » . وحقيقة أمره انه ليس كتابا واحداً ، بل أربعة عشر كتابا مرتبة على حسب الحروف الأبجدية اليونانية .

والمنطق الذي تركه لنا أرسطو يتألف من ستة كتب أساسية ، هي ( ١ ) المقولات ( ٢ ) العبارة ( ٣ ) القياس ( ٤ ) البرهان ( ٥ ) الجدل ( ٦ ) السفسطة . وقد أضاف العرب فيما بعد الى هذه الكتب الستة ثلاثة أخرى ، مدخلا يسمى « إيساغوجي » أي المدخل الى المقولات وهو من عمل فريريوس الصوري ، ثم الخطابة والشعر . والشعر بوجه خاص كتاب فني يبحث في الفن والجمال ولا صلة له بالمنطق ، ولكن العرب متأثرين ببعض شراح أرسطو جعلوه صربا من القياس . ولم يكن أرسطو يعرف مصطلح « المنطق » فهذا المصطلح من وضع شيشرون في عصر متأخر ، ولكنه كان يعنى بما نقول عنه المنطق « التحليلات » . وصناعة التحليل

عنده تمر في مرحلتين أولى وثانية ، فالأولى هي القياس ،  
والثانية هي البرهان . والمقصد من المنطق هو البرهان الذي  
يؤدي الى معرفة اليقين في الأمور العلمية ، لأنه يعتمد على  
مقدمات أولى يقينية . والمنطق عند أرسطو ، وعند  
المشائين بوجه عام ، هو أداة التفكير ، هو « الأرجانون »  
أى الآلة التي اذا أحسن المرء استخدامها توصل الى التفكير  
الصحيح .

وهكذا نرى أن البرهان منهج ضروري للبحث في  
الطبيعيات ، وقد كان أرسطو مبتكراً الى حد ما لهذا المنهج  
الذي استخدمه منذ كان في أسوس وميثلين وعندما افتتح  
اللوقيون ، وكان يتتبع الظواهر الطبيعية للوصول منها الى  
القواعد الكلية السارية في العالم الطبيعي . وله من الكتب  
في هذه الموضوعات كتاب الطبيعة ، والسما ، والكون  
والفساد ، والآثار العلوية ، ثم الكتب النفسية وعلى رأسها  
كتاب النفس ، والطبيعات الصغرى التي تشمل الحس  
والمحسوس ، والذكر والتذكر ، والنوم والأرق وغير ذلك .  
ثم الكتب التي تبحث في علم الحيوان ، وقد اقتبس الجاحظ  
في الحيوان كثيرا من آراء أرسطو ، وذكره في أكثر من  
موضع .

وهنا يمكن تقدير قيمة المساعدة التي أمر بها الاسكندر  
المقدوني حين طلب من الصيادين في الجو والبر والبحر أن  
يقدموا نماذج مما يصيدون لأرسطو ، أو على أقل تقدير أن



يصفوا له ما لا يتيسر لهم تقديمه من أصناف الحيوان . وهذا المنهج الذى يعتمد على وصف النماذج المختلفة يسميه أرسطو « التاريخ الطبيعى » ، وفيما يختص بالحيوان يسميه تاريخ الحيوان ، يقصد بذلك تسجيل أصنافه المتعددة . ولم يتبع أرسطو هذه الطريقة فيما يختص بالبحث الطبيعى فقط ، بل كذلك عندما بحث الدساتير ونظم الدولة . انه يقيم نظريته السياسية بعد التقصى والاستقراء .

لم يكن أرسطو صاحب المنطق فقط ، بل يمكن القول انه صاحب كل علم ، وواضع أسس معظم فروع العلوم الطبيعية . فهو صاحب الحيوان ، وهو صاحب النفس الذى ظل كتابه فى علم النفس عمدة لهذا العلم عشرين قرنا من الزمان . وقد استمرت نظرية العناصر الأربعة حتى القرن الثامن عشر هى النظرية السائدة فى العلوم الطبيعية . وهكذا نجد أن فلاسفة العصر الوسيط سموه بحق « المعلم الأول » ، واستمرت كتبه هى العمدة التى يعول عليها ، والأصل الذى يعد أقصى ما يتمناه المرء أن يقوم بشرحها . ولذلك قامت المشائية كمدرسة على كتب المعلم الأول وشروحها . واشتهر الشراح فى هذه المدرسة شهرة مؤسسها ، ولا يمكن الفصل فى هذه المدرسة بين المعلم الأول وبين شراحه . وكيف يمكن هذا الفصل ولم تظهر كتبه الا بعد ثلاثة قرون من الزمان ، ولم يكن ترتيبها على هذا النحو

الموجود بين أيدينا . ويبدو أن كثيرا من هذه الكتب من عمل المدرسة لا من عمل أرسطو وحده .

ولما توفي أرسطو تولى رئاسة المدرسة ثاوفراسطس ثمانية وثلاثين عاما ( ٣٢٣ - ٢٨٦ ) ، ويعد المؤسس الثاني لمدرسة اللوقيون ، بخاصة أن أرسطو لم يستمر في المدرسة إلا ثلاثة عشر عاماً . وفد الى أثينا من جزيرة لسبوس وحضر على افلاطون في الأكاديمية ، وعرف أرسطو في ذلك الحين ، وتوطدت الصداقة بينهما ، ولما هجر أرسطو أثينا قبل وفاته بعام عهد برياستها الى ثاوفراسطس ، ووهب له في وصيته المكتبة والمذكرات التي كان يلقي منها محاضراته ، والتي نشرت فيما بعد على أنها مؤلفات المعلم الأول . وقد ذكرنا من قبل أن عدد الذين كانوا يحضرون دروسه بلغ الألفين ، ولعل هذا العدد كان يحضر دروس الخطابة والأخلاق وما أشبهه . والأشبهه أن الرقم مبالغ فيه . وقد تابع ثاوفراسطس جهود أرسطو في تأسيس المدرسة واستكمالها ، فوسع الحديقة ، ونظم الاوقات والمناسج للتدريس . واشتهر بكتابه في النبات ، وله في هذا الفن كتابان في الواقع هما تاريخ النبات ، وعلل النبات ، ظلا عمدة هذا العلم في الزمن القديم والعصر الوسيط . والعرب يعرفون ثاوفراسطس ويبتجلونه ، وترجموا كتبه . وجاء في وصيته ما فحواه أن المال الذي أودعه عند هيبارخوس ينفق منه أولا على اتمام تجديد بناء المتحف وما فيه من تماثيل

الآلهة ، وثانيا أن يوضع في المعبد تمثال أرسطو كما كان من قبل ، وثالثا تجديد بناء الرواق المجاور للمتحف بشرط أن يكون جميلا كما كان ، وأن يوضع في الرواق السفلى المناضد وعليها خرائط البلاد التي اجتازها الرواد المستكشفون . وأيضا يجب اصلاح المذبح وتجميله . الى قوله : واني أوصى باتمام تمثال نيقوماخوس في الحجيم الطبيعي ، وقد دفعت الأجر المتفق عليه للمثال براكتيلس . . . . واني أوصى أن تتألف هيئة المدرسة من هيبارخوس ، ونيلوس ، وسطراطون ، وقالينوس ، وديموتيموس ، وديمارتوس ، وقالستينمس ، وميلانتيس ، وبانقريون ، ونيقيبوس .  
والوصية طويلة لم نذكر الا بعضها لنبين كيف كان رئيس اللوقيون يفكر في مصلحة المدرسة حيا وميتا ، وكيف كان يعنى بتجميلها ، كما وضع لنا عدد الخلفاء البارزين الذين كانوا يديرون أمور المدرسة . وهذه الهيئة أشبه شيء بمجلس إدارة للنظر في جميع شئون المدرسة ، ويعد رئيس المدرسة رئيس مجلس الإدارة .

تولى المدرسة اسطراطون من ٢٨٦ الى ٢٦٨ ق.م ، وقد اشتهر باسم اسطراطون الطبيعي بسبب انقطاعه لبحث الطبيعة . وقد علم بطليموس فيلاديلفوس الذي نفحه مبلغا عظيما من المال يضاهي ما أعطاه الاسكندر لأرسطو . وله مؤلفات كثيرة ذكر ديوجينس أسماءها ، كما اثبت وصيته التي جاء فيها أنه يعهد برياسة المدرسة الى

« ليقون » لأن الآخرين أصبحوا أما طاعنين في السن وأما في غاية الانشغال ، ويبدو من النظر في وصية رؤساء المدرسة أن الرياسة كانت في بعض الأحيان بالنص والتعيين ، كالحال في تولية ليقون ، وفي بعض الأحيان الأخرى بالانتخاب من جماعة الفلاسفة الذين يديرون أمور المدرسة ويعيشون معا معيشة مشتركة .

واستمر ليقون حول نصف قرن رئيسا للمدرسة ، من ٢٦٨ الى ٢٢٥ ق. م . ولم يؤثر عنه الاشتغال بالعلم الطبيعي بل اتجه الى الأخلاق والسياسة والبلاغة . ومنذ ذلك الوقت بدأت مدرسة الاسكندرية تنتزع الراية من المدارس الاثينية التي لم يعرف عنها تجديد أو ابتكار .

ثم توالى الرؤساء على المدرسة . ويهمننا أن نتحدث قليلا عن الرئيس الحادى عشر وهو أندرونيقوس الرودسى ، وكانت مدته من ٧٨ الى ٤٧ قبل الميلاد . وترجع أهميته الى أنه هو المسئول عن ترتيب كتب أرسطو على النحو الموجود بين أيدينا الآن ، أو أنه هو الذى أعد كتب أرسطو للنشر على هذا النحو . ولسنا نقصد بالنشر أنه طبعها ، فلم تكن المطبعة قد اخترعت بعد ، وإنما كانت الكتب تنسخ على لفائف من أوراق البردى أو رقائق الجلد . ويكفى أن تتصور « المكتبة » الملحقة بالمدرسة والأبنية التي تتسع لمثل هذه الكتب الضخمة . وقد احتضنت برجامون والاسكندرية في أنشاء مكتباتها حذو مكتبة أرسطو .

ولعلنا نترك حديث المدرسة بعض الوقت لنتحدث عن قصة كتب أرسطو تلك القصة التي تشبه الأسطورة . ذلك أن ثاوفراسطس حين حضرته الوفاة أوصى بمكتبته الى زميله وصاحبه نيلوس ، وكان في تلك المكتبة الخاصة مؤلفات أرسطو . ولما كان نيلوس مواطناً من طروادة بآسيا الصغرى ، فقد حمل الكتب معه هناك حيث أنشأ حلقة أفلاطونية - ( وكان نيلوس يدرس بالأكاديمية مع ثاوفراسطس وأرسطو ) . وحين أراد حكام برجامون انشاء مكتبة تنافس مكتبة الاسكندرية ، خشى ورثة نيلوس أن يُستولى على مكتبتهم فأسرعوا باخفائها في كهف ، وظلت حبيسة المغارة قرناً ونصف قرن ، الى أن سمع بخبرها أييليقون الضابط المرتزق في جيش ميثريادس ، وكان جماعاً للكتب ، فاشتراها بثمن بخس . وكانت الرطوبة قد محت كثيراً من الكتابات الموجودة بالفائف ، ولم يستطع أييليقون أن يرتب هذه المؤلفات ، وأن يصدر منها نشرة صحيحة . وأرسلت الكتب الى روما ، حيث أراد تيرانيون النحوي أمين مكتبة شيشرون أن يرتب الكتب ، ولم يفلح . أما النشرة الصحيحة فهي تلك التي أشرنا اليها من عمل أندرونيقوس الروديسي . ويعد عمله في هذا الترتيب والنشر شرحاً لمؤلفات أرسطو . فهو أول شارح .

احتاج أرسطو الى شراح لأن العهد كان قد بعُد بين تعليمه في القرن الرابع قبل الميلاد وبين العصور

الجديدة بعد ثلاثة قرون ، أى منذ القرن الأول قبل الميلاد . وكانت فلسفات جديدة قد ظهرت الى الوجود وأصبحت هى السائدة ، كالرواقية ، والابيقورية ، والاسكندرانية ، ثم الأفلاطونية المحدثة . ولما تدهورت مباحث الفلسفة أخذ المشتغلون بها من المتأخرين يخلطون بين هذه الفلسفات كلها على الرغم من أن الأسس التى تقوم كل منها عليها مختلفة . هذا الى أن أوائل الخلفاء على مدرسة أرسطو لقرب عهدهم منه كانوا يحسنون فهم كتبه واتجاهاته ، فلما انقضى ذلك الرعيل الأول خلف من بعدهم خلف أصبحت هذه المؤلفات بالنسبة اليهم أشبه بالطلاسم التى تحتاج الى تفسير أو الى شرح . ومن هنا ظهرت الحاجة الى الشراح . والشراح للمشائية كثيرون ، وصلت بعض كتبهم الى العرب الذين كانوا على معرفة وثيقة بهم ، ولكن أشهر الشراح باطلاق بالنسبة الى العالم العربى الاسكندر الأفروديسى فى القرن الثالث بعد الميلاد وثامسطيوس فى الرابع بعد الميلاد وسمبليقيوس فى القرن السادس بعد الميلاد . وقد اتصل العرب بهذه الحركة فكان ابن رشد من أكبر شراح أرسطو لا تقل منزلته عن الاسكندر الأفروديسى أو ثامسطيوس ، وقد نقلت شروح ابن رشد الى اللغة اللاتينية ، وعرفت أوربا أرسطو والمشائية عن طريق ابن رشد . ولا تزال مدرسة أرسطو ، على الرغم من أنها أغلقت نهائيا أبوابها فى أثينا عندما طرد الامبراطور جستينيان

الفلاسفة سنة ٥٢٩ ، حية حتى اليوم ، ونقلت افكارها الى جميع اللغات ، ولا يزال منطق أرسطو مستخدما ، ولا تزال اتجاهاته الفلسفية الرئيسية باقية ، وعلى رأسها أن الفلسفة هي العلم بالموجود ، أو هي العلم بالعلل الأولى والغايات الأخيرة وبقيت الأرسطية ولا تزال عنوانا على تفسير الموجودات بالهيولى والصورة ، أى بمبدأين لا بمبدأ واحد ، والقول بالقوة والفعل باعتبار أن القوة تقابل المادة والفعل يقابل الصورة ، وعلى القول بنظرية الوسط فى الأخلاق .

## الرواىة والحديقة

كانت المدارس الفلسفية فى اليونان كثيرة ، اشرنا الى ابرزها وأهمها وأعظمها أثرا فى تاريخ الفكر البشرى ، وورد فى أثناء ذلك ذكر بعض المدارس التى لم تلبث أن انقرضت بموت أصحابها . وفى أواخر القرن الرابع وأوائل الثالث قبل الميلاد ظهرت أربع مدارس هى الكلية والشكالك والرواقية والايقورية ، وأشهرها الرواقية والايقورية ، فالرواقية نسبة الى مكان التعليم فى الرواق ، والايقورية نسبة الى صاحبها ابيقور ، الذى كان يعلم فى الحديقة .

وعلى الرغم من زوال المدرستين منذ القرن الأول للميلاد تقريبا إلا أن روح الرواقية لا تزال سارية حتى اليوم ، على حين اكتسبت الايقورية معنى منحرفا ، وأصبح الشخص الذى يوصف بأنه ابيقورى انما يدل ذلك على انهماكه فى الشهوات واسرافه فى الملذات .

نبدا بالحديث عن الرواقية فنقول : ان الذى أسس هذه المدرسة هو زينون اثرواقى ، أصله من مدينة أكتيوم بجزيرة قبرص ، وهى مدينة يونانية استقر بها مهاجرون من فينيقيا التى تقع على الشاطئ المقابل للجزيرة . ويروى أنه خرج



في تجارة فُقرت السفينة على مقربة من بيرايوس ميناء  
أثينا ، فلما نجا توجه الى أثينا ، واستقر بها ، ودرس فيها ،  
وكان فيما يقال في الثلاثين من عمره . فلما استقر به المقام  
اشترى من وراق كتاب زينوفون عن سقراط وهو المذكرات  
المشهورة ، فأعجب به وسأل : أين يوجد رجل مثل  
سقراط ؟ فأشار عليه الوراقه باتباع أفراطيس الكلبى .  
وتنقل زينون عشرين عاما بين المدارس الفلسفية في أثينا ،  
ثم أخذ يعلم الفلسفة في رواق مشهور بأثينا كان محلى  
بنقوش بوليخبوتوس أشهر الرسامين اليونانيين في القرن  
الخامس قبل الميلاد . وكان ذلك الرواق فيما مضى منتدى  
للأدباء والشعراء يلتقون فيه ، وكان الى ذلك مباحا لكل  
طارق ، فلما اتخذه زينون مكانا للتعليم سمي واتباعه  
بالرواقيين .

الواقع كانت طريقة التعليم في اليونان كما ذكرنا تتم بين  
المعلم وتلاميذه اما في رواق ، واما على ممشى بين الأشجار ،  
أى في حديقة . فالأكاديمية - وهى التى سماها العرب  
اقاذيميا - كانت فى الأصل حديقة سميت باسم البطل  
اكاديموس . وكان كبار السفسطائيين الذين علموا في بيوت  
أشراف أثينا يلقون دروسهم وهم يمشون فى الرواق . ذلك  
أن القصور كانت تبنى بحيث يفسح فيها مكان لأروقة تقام  
على أعمدة تلقى ظلا يخفف من حرارة الجو . ولكن بعض  
المدارس اشتهرت تاريخيا بنسبتها الى خاصية معينة ،

مثل مدرسة المشائين ، وحديقة أبيقور ، ورواق الرواقية ،  
والرواقية مذهب تغير على مر الزمن ، فهي على يد  
مؤسسها زينون خلافها على يد ابكتيتوس أو مرقص  
اوريليوس مثلا . ولكنها على الرغم من تطورها ، وعلى  
الرغم من هجرها لاتجاهات مادية أو طبيعية ، فقد بقي لها  
طابع عام لا يزال حتى اليوم يميزها عن أى مدرسة فلسفية  
أخرى . والرواقى صفة تطلق - وبخاصة فى اللغات  
الأوربية - على الشخص الذى يمتاز بثلاثة أمور كلها  
أخلاقية ، هى التحرر من الأهواء ، وعدم الخضوع للأفراح  
والأحزان ، والاستسلام لقانون القضاء . فاذا تيسر لأحد  
أن يملك زمام نفسه على هذا النحو ، فهو الحكيم الرواقى .  
ويمكن القول بعبارة أخرى ان الحكيم الرواقى هو الذى  
يصبر على أحداث الزمان ، ويرضى بما يجرى عليه ولا حيلة  
له فيه من العطاء أو الحرمان ، وهذا شئ ليس من اليسر  
أن يتقبله كل انسان .

والرواقية مدرسة عجيبة ، ظهرت فى بلاد اليونان ولكن  
مؤسسها غير يونانى ، وجمعت بين السيد والعبد على  
صعيد واحد ، ولم تميز بين شرقى ولا غربى ، ولم تستقر  
فى مكان واحد أو داخل جدران مدرسة واحدة ، ومع ذلك  
انتشرت تعاليمها ، ولا تزال سارية حتى الآن . وتطورت  
آراؤها على مر العصور ولكنها احتفظت بطابع أخلاقى  
يميزها عما عداها .

استمرت رسمياً خمسة قرون ، من الثالث قبل الميلاد ، الى الثاني بعد الميلاد . أول ممثلها زينون وآخرهم مرقص أوريليوس المتوفى ١٨٠ ب.م . وتقسّم المدرسة عادة الى قديمة ووسطى وحديثة ، فالقديمة في أثينا ويمثلها زينون وكليانيس وكريسيبوس ؛ ووسطى يمثلها بنائوس وبوزيدونيوس ؛ وحديثة في روما يمثلها سنيكا وابيكتيتوس ومرقص أوريليوس . ثم تسربت آراؤها الى المسيحية واستمرت في التراث الغربي حتى الوقت الحاضر . وقد كان لها أثر كبير على الحكام والملوك الذين اعتنقوا هذه الفلسفة حتى قيل ان معظم الملوك بعد الاسكندر المقدوني كانوا من اتباع الرواقية .

وتقوم الرواقية على مبدئين أساسيين مع التوفيق بينهما ، وهما الحتمية الكونية والحرية الانسانية . والأول منهما خاص بالطبيعة والثاني بالانسان . ذلك ان حوادث الكون محكومة بقوانين صارمة ، وليس ثمة في نظر الرواقيين صدفة أو اتفاق . وعندهم أن كل شيء في هذا العالم مسوق نحو غاية ومدبر لخدمة الانسان . وهذه هي نظرية العناية الالهية . وعلى الانسان أن يسعى بإرادته ، ومحض حريته واختياره الى أن يتوافق مع القوانين العامة للطبيعة . فالفضيلة اذن تقوم في حرية الارادة الموافقة للطبيعة . وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون الحكيم الرواقى سيد نفسه ،

لا يهمله فقرا أو غنى ، ولا تصده أى قوة خارجية عن  
الفضيلة .

ولما كانت آراء هذه المدرسة غير منفصلة عن حياة  
أصحابها ، فلنشرع فى الحديث عن أبرزهم ، مبتدئين  
بمؤسسها :

ذكرنا أن زينون الرواقى - وهو خلاف زينون الأيلى  
تلميذ بارمنيدس - من أصل فينيقى ، ولد فى قبرص  
بمدينة اكتيوم ، وازدهر فى أوائل القرن الثالث من قبل  
الميلاد . وكان أبوه تاجرا ، فاشتغل زينون فى صباه  
بالتجارة ، وركب البحر متجها الى بلاد اليونان يبيع شحنة  
من الأرجوان . غير أن السفينة تحطمت ، فذهب الى أثينا ،  
وأخذ يدرس الفلسفة . ويحكى فى سبب ذلك أنه اختلف  
الى دكان وراق ( أى صاحب مكتبة ) ، وقرأ عنه مذكرات  
زينوفون التى روى فيها أحاديث سقراط ، فأعجب  
بالمحاورات اعجابا شديدا وسأل : أين يمكن أن يجد  
شخصا مثل سقراط ؟ ولقد ظلت شخصية سقراط المثل  
الأعلى للرواقية فى شتى عصورها ، إذ أعجب الرواقيون  
بموقفه فى المحاكمة ، ورفضه الهرب من السجن ، وهدوئه  
فى مواجهة الموت ، وعلى الجملة سيرته الأخلاقية الغاضلة .  
كما أعجب الرواقيون كذلك ببساطة سقراط فى الطعام  
والشراب والملبس ، وعدم مبالاته بالحر أو البرد ، وعزوفه

عن الرفاهية والترف . من أجل ذلك أقتربت الرواقية  
بالزهد والأخلاق الفاضلة .

عاش زينون حتى بلغ التسعين ، وظفر بشهرة واسعة ،  
وكان له تلاميذ كثيرون في المدرسة التي خلفه على رياستها  
كليانتس . اشتهر بأمرين الأول التمسك بأن الأرض مركز  
الكون ، ولذلك يجب الحكم على أرسطارخوس بالاعدام لالحاده  
بسبب قوله ان الشمس مركز الكون لا الأرض . والثاني  
قصيدته التي نظمها في تقديس زيوس .

غير أن خليفته في المدرسة وهو كريسيبوس ( ٢٨٠ -  
٢٠٧ ق.م ) هو الذي يعزى إليه تثبيت دعائم المدرسة ،  
وتنظيم المذهب ، والعناية بالمنطق ونظرية المعرفة . وكان  
زينون يقول ان الفلسفة بستان والمنطق سورته ، والطبيعة  
شجره ، والأخلاق ثمره ، وبذلك جعل الأخلاق لب الفلسفة  
والمباحث النظرية من طبيعة ومنطق تابعة لها . ولكن يبدو  
أن كريسيبوس أفرد للدراسة النظرية مكانا أوسع ، وبخاصة  
المنطق ، الذي أضحي جزءا من الفلسفة ، لا كما ذهب  
أرسطو آلة لتحصيلها فقط . ومن أقواله في الأخلاق ان  
الرجل الفاضل سعيد دائما والشريير شقى أبدا ، وان  
النفس تبقى بعد فناء البدن الى أن يحين الاحتراق العام .  
ثم انتقلت الرواقية الى روما غربا مع ظهور الامبراطورية  
الرومانية . وتعادل المذهب أولا على يد بنائوس ( توفي  
١١٠ ق.م ) الذي أدخل في الرواقية عناصر افلاطونية

وهجر مادية المدرسة القديمة ، وكان صديقاً لشيبو ، كما  
أثر في شيشرون صاحب الفضل في نشر الروايقية بين  
الرومان . وقد تعلم بوزيدونيوس من بناتيوس وخلفه .  
وبوزيدونيوس اغريقى من سوريا ، شهد في صباه نهاية  
الدولة السلوقية في سوريا ، ودفعه ما رآه من فوضى الى  
الهجرة غربا . فذهب اولاً الى أثينا حيث رضع لبان  
الروايقية في ظل الرواق . غُرباً الى أقصى غرب  
الامبراطورية الرومانية في شمال افريقيا واسبانيا  
وفرنسا . وقد تعلم شيشرون على بوزيدونيوس  
في رودس وعنه أخذ هذا المذهب . وقد اتجه وجهة رياضية  
موفقاً بين تعاليم أفلاطون الأصلية - لا تعاليم الأكاديمية  
التي اصطنعت مذهب الشك - وبين الأخلاق الروايقية .  
ذكرنا أن الروايقية في عصرها المتأخر اشتهرت برجال  
ثلاثة على رأسهم سنيكا ( من ٣ ق.م الى ٦٥ م.م ) .  
أصله أسباني ، عاش أبوه في روما ، تثقف ثقافة سياسية  
هيأته للاشتغال بالسياسة فأصبح وزيراً للامبراطور  
كلاوديوس ، الذي نفاه الى كورسيكا بسبب عداوته لزوجته  
مسالينا . ثم استدعته أجريبا زوجة الامبراطور الثانية ،  
وعينته معلماً لابنها البالغ من العمر إحدى عشرة سنة .  
وهذا الصبى هو الذى أصبح فيما بعد الامبراطور نيرون .  
وهكذا كان سنيكا معلم الامبراطور ، كما كان أرسطو معلم  
الاسكندر ، ولكن شتان بين التلميذين ، وبين المعلمين .

وقد لقي سنيكا من تلميذه جزاء سئام ، اذ غضب نيرون عليه عقب اتهامه بالتآمر على حياته ومحاولة تنصيب امبراطور آخر على العرش . وقد سمح له أن ينفذ حكم الاعدام على الطريقة الرومانية بأن ينتحر ، فاختار أن يقطع شريانه . ومع أنه كان يزدرى المسال إلا أنه جمع ثروة كبيرة ، قيل انها بلغت مليوناً من الجنيهات .

أما ابكتيتوس ( ٦٠ - ١٠٠ بعد الميلاد ) فكان عبداً اغريقياً ، حرره نيرون واتخذه وزيراً . عاش في روما وعلم بها حتى سنة ٩٠ ، الى أن نفاه الامبراطور دومتيان ، ولم يكن يحب أرباب الفكر والنظر ، مع من نفاهم من الفلاسفة . وذهب ابكتيتوس الى نيقوبوليس في ابيروس ، حيث أخذ يعلم ويؤلف .

أما الامبراطور مرقص أوريليوس ( ١٢١ - ١٨٠ ) فقد عاش حياة رواقية فاضلة . تميز عصره بوقوع كوارث عديدة من زلازل ، وأوبئة ، وحروب طويلة دامية . وكان ابنه الامبراطور كومودس من أسوأ الأباطرة سيرة ، ولكنه أخفى نواياه الشريرة عن أبيه مدة حياته . وقد اشتهر مرقص أوريليوس بكتابه الذي نشر بعد وفاته ، وهو « التأملات » . وهو عبارة عن خواطر كان يدونها لنفسه ، ولم يكن يعدها للنشر . وقد اتهمت زوجته « فاستينا » بفساد السيرة ولكن زوجها لم يشك في شرفها . وقد اضهد أوريلوس المسيحيين لخروجهم على دين الدولة

الذى كان يعتبره ضرورةً سياسية . وعلى الجملة عاش  
مرقص أوريليوس حسن السيرة نقي السريرة .  
كانت فلسفة ابكتيتوس ومرقص أوريليوس ملائمة  
للعصر الذى عاشا فيه ذلك العصر الذى تميز بالقلق  
والاضطرابات والكوارث ، ولم يكن ثمة أمل فى تحسين تلك  
الأحوال التى سارت من سيء إلى أسوأ حتى انتهى الأمر  
بسقوط الامبراطورية الرومانية . من أجل ذلك كانت  
الأخلاق الرواقية التى بشرها بها وسارا عليها أفضل أخلاق  
ملائمة لذلك الصبر ، اذ كانت تدعو إلى الصبر على الأذى ،  
واحتمال المصائب والرضا بالقضاء ، أكثر منها رسالة أمل  
ورجاء .

وفلسفتها متشابهة إلى حد كبير . ومن أقوال  
ابكتيتوس : اننا نعيش مساجين على الأرض ، وفى بدن  
أرضى . ومن أقوال مرقص أوريليوس : ما أنت أيها الانسان  
سوى روح ضئيلة تحمل على كاهلها جثة .



وقد أصبحت حديقة أبيقور عنوانا على البحث  
الفلسفى فى الأخلاق واعتمادها على اللذة ، وعلى الصحة  
الفلسفية لتبادل الآراء . وقد شاع عن أبيقور أن مذهبه  
هو الاقبال على اللذة ، والحق أن أحدا لم يظلم مثلما ظلم  
أبيقور ان فى سيرته أو فى مذهبه . وقد أشاع عنه خصومه



الشائعات والصقوا به التهم جزافا . واكبر الظن أن خصومه في الفكر هم الرواقيون أصحاب الرواق والذين كانت مدرستهم تنافس حديقته . قيل مثلا أن أمه كانت كاهنة مشعوذة ، وكان يطوف معها من دار إلى أخرى يرتلان الأدعية الدينية . كما كان يساعد أباه في مهنة تعليم الصبيان لقاء أجر ضئيل . ولو صحت الرواية السابقة عن أمه فيكون في ذلك السر في كراهية أبيقور فيما بعد للخرافات الدينية التي تميزت بها تعاليمه .

أبوه أثيني استقر في ساموس ، وهناك أنجب ابنه أبيقور سنة ٣٤٢ ق.م ، وفيها أمضى الصبي حياته ، وشرع يدرس الفلسفة وهو في الرابعة عشرة من عمره . وفي الثامنة عشرة ذهب إلى أثينا يبغي أن يكون مواطنا أثينيا ، ولكن في ذلك الوقت طرد المستعمرون من ساموس ، فلجأ مع أسرته إلى آسيا الصغرى . وقد تعلم أبيقور المذهب الذري على يد ناوزيفانس أحد أتباع ديمريطس . بدأ يفتتح مدرسة فلسفية سنة ٣١١ في ميتلين ، ثم في لامباسكوس .

وفي سنة ٣٠٧ افتتح مدرسته في أثينا ، وظل يعلم بها إلى أن توفي سنة ٢٧٠ ، فكانت بذلك رابع مدرسة كبرى في أثينا بعد الأكاديمية واللوقيون والرواق . وتعد حديقة أبيقور مدرسة منظمة كالثلث الأخرى ، وهذا سر بقائها حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، إذ تعلق بمكان ثابت ،

وكان لها رؤساء تولوا ادارتها بعد موت صاحبها . وهذا على عكس المدرستين اللتين أشرنا اليهما في بداية هذا الفصل ، وهما مدرسة الكلييين ومدرسة الشكاك .

اشترى أبيقور في أثينا بيتا وحديقة هي التي كان يقوم بالتدريس فيها ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت حياته هادئة لا يفكر صفوفها سوى اعتلال صحته .

اشترك بالمدرسة منذ انشائها في ميتين اخوته الثلاثة وبعض الأصدقاء ، ولكن عدد التلاميذ أخذ يزداد في أثينا . ولم تقتصر المدرسة على قبول طلبة الفلسفة فقط ، بل ضمت الأصدقاء والأطفال والعبيد والصواحب . وكان لاشترك المرأة في الحديقة أثره في التشجيع على المدرسة ، وذريعة اتخذها خصومه لاثامه بالباطل ، إذ لم يكن من المؤلف فتح أبواب المدارس الفلسفية للمرأة ، فيما عدا مدرسة فيتاغورس التي كانت في واقع الأمر فرقة دينية .

والرابطة الأساسية التي كانت تجمع بين أفراد المدرسة هي الصداقة . وكانت حياة الجماعة - أو الفرقة - في المدرسة بسيطة جدا ، لا لأن تعاليم المدرسة كانت تنصح بالبساطة ، كما هي الحال في سائر المدارس الأخرى ، بل لحاجتها الى المال . وكان طعام أبيقور الخبز والماء ، وكذلك باقى التلاميذ ، وفي ذلك كفاية لحفظ الحياة . ومن أقوال أبيقور : أن بدنى لينتشى حين أميش على الخبز والماء ، وأنى

لأبصق على اللذات المترفة ، لا لذاتها ، بل بسبب ما تجلبه من عواقب غير حميدة .

اعتمدت المدرسة على الهبات التي كان يطلبها صاحبها من الأصدقاء ومن التلاميذ ، وهذه الهبات بعضها من الطعام الذي يحتفلون به في أعيادهم ، وبعضها من المال . وقد جاء في إحدى الروايات أنه سأل أحدهم أن يهب المدرسة جبنا يأكلونه في العيد .

وكان أبيقور سليط اللسان على أصحاب الفضل عليه في تعلم الفلسفة ، إذ أنكر كل فضل لديمقريطس ولوقيبوس صاحبى المذهب الذرى ، ووجه إليهما أفذع الشتائم . والمذهب الأبيقورى مادى ذرى من جهة النظر الى الفلسفة الطبيعية ، وداعيا الى اللذة فى الأخلاق .

اللذة هى الخير ، وهى بدء الحياة السعيدة ونهايتها . ومن أقواله التى حفظت فى كتب المؤرخين : لست أدرى كيف أتصور الخير إذا نزعنا عنه لذة الدوق ، ومتعة المرأة ، وبهجة السمع والبصر .

ومن أقواله أيضا : أول كل خير وأساسه لذة البطن ، وحتى الحكمة والثقافة فانهما يرجعان اليها .

ومع أن اللذة هى مبدأ الحياة الا أن الانسان لا ينبغي أن يقبل عليها دون نظر الى عواقبها ، فان كانت وخيمة فلا بد من التوضيح بها ، بل تحمل الألم المؤقت فى سبيل اللذة المستقبلية . واللذة عنده هى البعد عن الألم وتجنبه أكثر

منها اقبال على المتعة . وهذا هو السبب في الزهد في الطعام لأن عواقب التخممة وخيمة . والصلة الجنسية لا تؤدي الى خير أبداً ، والسعيد السعيد من لم ينصب منها بضر . أما رأس الفضائل فهي الصداقة ، وهي لا تنفصل عن اللذة ، اذ بدونها لا يعيش المرء آمناً بغير خوف .

والخوف محور آخر لفلسفة أبيقور ، وتجنبه هو الذي يحقق اللذة . ومن أقواله في ذلك : لا تسرف في الأكل خشية سوء الهضم ، ولا في الشرب خشية ما يحدث صباح اليوم التالي . واحتقر السياسة والمرأة وسائر الأعمال الشهوانية . على الجملة : عش واثق الخوف .

ومصادر الخوف أمران - في زمانه طبعاً - الدين والموت ، وهما متصلان ، لأن الدين الذي كان سائداً كان يعلم أن الموتى أشقياء . ولذلك نادى بفلسفة تستبعد من الدين ما يجعله يبعث الخوف . ومذهبه أن الآلهة لا تتدخل في شئون البشر ، وأن الروح تفنى بفناء البدن . انه لا ينكر وجود الآلهة ، فهي موجودة ولكنها لا تتدخل في أعمال البشر ، ولا تعنى بهم ، فلا حاجة للخوف منها ، أو اغضابها واستجلاب رضائها ، أو الذهاب الى الجحيم بعد الموت . وفلسفته الطبيعية ذرية ، وهي استمرار لفلسفة ديمقريطس . فالعالم مركب من ذرات وخلاء ، ولكن الذرات ليست خاضعة دائماً لقوانين طبيعية صارمة ، أي لفكرة الضرورة التي سادت الفلسفة اليونانية وجاءت من الدين .

والذرات عند أبيقور لها ثقل ، ومن أجل ذلك تُفَع باستمرار  
لا نحو مركز الأرض بل الى « تحت » . وبين حين وآخر  
تنحرف بعض الذرات عن السقوط الى تحت متأثرة بارادة  
باطنة حرة . والنفس مادية ومركبة من ذرات تتخلل  
سائر أجزاء البدن .



ثم خلف أبيقور على الحديقة رؤساء يذكرهم ديوجينيس  
لايرتوس في تاريخه ، ولكن لم يشتهر أى واحد منهم ، اللهم  
الا لوكريتيوس الذى عاش فى روما وكتب قصيدته المشهورة  
« فى طبيعة الأشياء » ، شرح فيها فلسفة أبيقور ، ولم  
تعرف القصيدة فى زمانه ( عاش ٩٩ - ٥٥ ق . م ) بل فى  
عصر النهضة .

## مدرسة الإسكندرية

لم تكد مدرسة الاسكندرية تظهر الى الوجود حتى كسفت بنورها مدارس أثينا ، وانتزعت منها راية العلم والفلسفة ، واستمرت تتزعم الحركة الفكرية زهاء ثمانية قرون ، من القرن الثالث قبل الميلاد عند انشائها الى القرن الخامس بعد الميلاد .

تميزت المدرسة خلال هذه الفترة من الزمان بنزعتها العلمية وبخاصة العلم الرياضى ، ولم يؤثر عنها فى عصرها الأول قبل الميلاد الاشتغال بالفلسفة . ولكنها منذ القرن الأول بعد الميلاد اخذت تنظر فى فلسفة الأديان بوجه خاص ، بعد ظهور المسيحية والصراع الفكرى بينها وبين وثنية اليونان والرومان وديانة قدماء المصريين فضلا عن ديانات أخرى وافدة من الشرق مثل اليهودية والزرادشتية والمناوية . وفى خضم هذه التيارات الفكرية والدينية ظهر فى الاسكندرية « الفيثاغورية الجديدة » تحاول التوفيق بين الأديان ، وهذه الفيثاغورية الجديدة هى الأصل الذى نبعت منه جماعة « اخوان الصفا وخلان الوفا » فى القرن الرابع

الهجرى عند المسلمين . وظهرت كذلك « الأفلاطونية المحدثه » تحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو مع ميل الى الأفلاطونية ، وهذه النزعة هى التى رفع رايها آخر كبار الفلاسفة فى الزمن القديم ، وهو أفلوطين الذى سنفرد لمدرسته حديثا خاصا فيما بعد .

لم يكن لثغر الاسكندرية وجود قبل أن ينشئ المدينة الاسكندر الأكبر عقب غزو مصر . توفى الاسكندر سنة ٣٢٣ ق . م بعد أن وضع حدا للثقافة الاغريقية التى كانت تتميز بالتمسك بالفكر اليونانى وقصره على نفسها ، وبدأت الثقافة « الهلنستية » أى تلك التى امتدت خارج بلاد اليونان فى سائر العالم المعروف فى ذلك الزمان والذى أخضعه الاسكندر لسلطانه يبنى انشاء « عالم واحد » وثقافة واحدة . ولكن المؤسس الحقيقى لهذه المدينة التى قدّر لها أن تكون مركز العلم والفلسفة والثقافة فى العالم الجديد هو بطليموس الأول ، الذى حكم مصر بعد موت الاسكندر ، وكان صديقه ورفيق صباه ، واشترك معه فى حملات آسيا الصغرى ، فلما أسس الاسكندرية ، دفن فيها رفات الاسكندر ، وأنشأ بها الفنارة احدى عجائب الدنيا السبع ، وأنشأ المتحف والمكتبة . استمر حكمه حتى سنة ٢٨٥ ، فلما تولى ابنه ( ٢٨٥ - ٢٤٧ ) بطليموس فيلادلفوس كان حكمه امتداداً لحكم ابيه ، ثم بلغت دولة البطالسة ذروة مجدها فى ظل بطليموس الثالث ( ٢٤٧ - ٢٢٢ ) .

كان بطليموس يعرف أن مجد الدول وارتفاع منزلتها وخلود ذكرها يرجع في المحل الأول الى ما يسودها من علم وعرفان ، وأن دولا كثيرة كانت تمتاز بوفرة المال أو قوة السلطان ومع ذلك زالت ولم يبق لها في التاريخ ذكر . لذلك اتجه بطليموس في منافسته لآئينا بوجه خاص الى انتزاع زعامتها الفكرية عنها ، وذلك بانشاء مدرسة فلسفية على نسق الأكاديمية أو اللوقيون ، فكانت مدرسة الاسكندرية اقرب الى اللوقيون منها الى الأكاديمية بحكم أن ديمتريوس وسطراطون اللذين وضعا دعائم المدرسة كانا خليفتين على اللوقيون . ولكن النظام الذي جرت عليه المدرسة لم يكن مشابها تماما لمدرسة أرسطو ، لأسباب كثيرة ، على رأسها أن اللوقيون ارتبطت باسم مؤسسها وهو أرسطو واستمرت تحت تعاليمه المشائية ، ولم تتوقف مدرسة الاسكندرية على أى شخص أو ترتبط بأى عالم أو فيلسوف ، وإنما كانت مؤسسة ثقافية تهيب للباحثين فرصة البحث وللدارسين مهمة الدراسة . انها أشبه بأكاديمية علوم أو معهد عال للأبحاث ، مقره في ذلك الزمان « المتحف » وباليونانية موزايوم ، ومنه اسم المتحف حديثا كالمتحف المصرى بالقاهرة **Museum** ، غير أن المتاحف الحديثة أصبحت مقراً للآثار القديمة ، فتغير بذلك معناها عن الزمن القديم .

والمتحف معبد أو هيكل لربات الفنون ( موزايوس ) التسع وهن بنات زيوس ونيموسينى ، وهذه التسع هى



ربة التاريخ ، والشعر الغنائى ، والكوميديا ، والتراجيديا ،  
والترانيم ، والرقص والموسيقى ، وشعر الغزل ، والفلك ،  
والشعر الحماسى . وهذا يدل على ان اتجاه المتحف كان فى  
الاغلب نحو الشعر بأنواعه المعروفة فى اليونانية ؛ ولكن شهرة  
المتحف قامت على العلوم أكثر منها على الآداب والشعر .  
بنى المتحف جزءاً من القصور الملكية ، له طريق عام ،  
ورواق ذو مظلة تحفه الأرائك ، ينتهى الى بيت واسع يعقد  
العلماء المتشاركون فى المتحف اجتماعاتهم فى قاعته الكبيرة .  
وكان يشغل عدة أبنية فى المدينة الملكية المطلة على الميناء ،  
وهذه الأبنية مهيأة لشتى الأغراض العلمية . ويعيش أعضاء  
المدرسة معاً ، وما يملكونه فهو شركة بينهم ، ويرأسهم كاهن  
كان الملك يعينه فى القديم .

والمتحف أدنى الى أن يكون معهدا للبحوث منه الى أن  
يكون جامعة أو مدرسة . وليس بين يدينا من الوثائق  
ما يؤيد أنه مكان للتعليم . أنه تعليم بين أستاذ ومعاونيه ،  
ولم يكن ثمة ادارة أو امتحانات ، أو درجات جامعية . وكان  
المتحف مزوداً بالأدوات والأجهزة الفلكية ، وأدوات  
التشريح ، وحدائق للنبات . ومن الطبيعى أن يستغرق بناء  
المتحف ونموه زمنا وأن يحتاج مع ذلك الى الاستقرار ، وقد  
كفل له ذلك كله بطليموس الأول والثانى والثالث ، وكان  
لتجربة ديمتريوس واسطراطون الفضل فى ارساء النظام  
الوحيد للمتحف ، وكان كل منهما رئيسا لمدرسة عريقة ،

وعالماً فاضلاً . تعلم اسطراطون على يد ثاوفراسطس  
واستدعاه بطليموس ليعلم ابنه سنة ٣٠٠ ق . م ،  
واستمر يعمل حتى سنة ٢٨٨ الى أن رجع لرياسة اللوقيون  
بعد وفاة ثاوفراسطس .

ومن أشهر العلماء الذين اقترن اسمهم بمدرسة  
الاسكندرية في عصرها الأول أوقليدس وأرشميدس ،  
وأبولونيوس ، وأبولودورس . تعلم أوقليدس أولاً في أثينا ،  
ودرس الرياضيات في الأكاديمية . وعقب اضطراب الأمور في  
أثينا ذهب الى الاسكندرية ، وعاش في ظل بطليموس الأول  
والثاني . وتروى عنه أقاصيص كثيرة نذكر منها أن  
بطليموس سأله ذات مرة أيوجد طريق أقصر الى الهندسة  
من طريق « الأصول » ؟ فأجابه : لا يوجد طريق ملكي  
للهندسة . و « الأصول » هو الكتاب الذي ألفه أوقليدس  
حاوياً كل شيء عن الحساب والهندسة حتى زمانه ، ويعرف  
باسم « أصول الهندسة » وهذه هي الترجمة العربية  
للعنوان في عصر الترجمة . وقد ظل هذا الكتاب بترتيب  
نظرياته الهندسية أساساً لهذا العلم حتى اليوم ، نعتى  
بالنسبة للهندسة الأقليدية . وسائر الرياضيين الذين لمعت  
أسمائهم بعد ذلك إنما كانوا شراحاً لأوقليدس ، وإذا كانت  
لهم إضافات في هذا الباب فهي في حل بعض مسائل ، أو  
ترتيب وتبويب يوضح هذا العلم للطلبة . وقد عرف العرب  
هؤلاء الرياضيين الذين ظهرُوا في الاسكندرية في عصرها

المتأخر قبل الفتح ، مثل بابوس عاش في القرن الثالث بعد الميلاد ، وثاؤن الاسكندري من القرن الرابع ، وبرقلوس ومارينوس وكلاهما من القرن الخامس .  
ومن كبار الرياضيين في مدرسة الاسكندرية في عصرها الأول ، أرشميدس ، وأرسطارخوس ، وأبولونيوس .  
وأولهما أشهر من أن يذكر ، ولا يزال طلبة المدارس حتى اليوم يحفظون قاعدته المشهورة في علم الطبيعة عن الأجسام الطافية .

ومن أشهر علمائها في عصرها الثاني بطليموس الفلكي صاحب المجسطى . عاش بالاسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد ، ونبغ فيها ، وكانت مصر قد خضعت للحكم الروماني وانقرضت دولة البطالسة ، ولكن الثقافة والعلم واللفظة استمرت باليونانية . عرف العرب كتابه الذي ترجموه بقولهم « المجسطى » فسار هذا الكتاب بينهم سيرة « أصول » أقليدس . ومن أبرز الأسس التي قام عليها النظام الفلكي في هذا الكتاب القول بأن الأرض مركز المجموعة الشمسية ، ويعرف هذا بالنظام البطلمي ، وظل مأخوذاً به إلى أن جاء كوبرنيك فأحدث ثورته المشهورة في علم الفلك قائلان الأرض هي التي تدور حول الشمس .

وقد حدثنا العرب عن مدارس التعليم بالاسكندرية في عصرها المتأخر ، وقد حفظ لنا مؤرخوهم روايات كثيرة عن تلك المدارس ، ولا حيلة لنا إلا الأخذ بها . روى القفطى في

كتابه أخبار الحكماء أن الاسكندرانيين هم « الذين رتبوا بالاسكندرية دار العلم ومجالس الدرس الطبي ، وكانوا يقرءون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذي تقرأ اليوم عليه ، وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها ويسهل على القارئ حفظها وحملها في الأسفار . فأولهم - على ما رتبها اسحاق بن حنين - اصطفن الاسكندراني ، ثم جاسيوس ، وانغيلأؤس ، ومارينوس . فهؤلاء الأربعة عمدة الأطباء الاسكندرانيين ، وهم الذين عملوا الجوامع والتفاسير » .

نقلنا هذا النص على طوله لنبين أن المدارس الفلسفية كانت موجودة بالاسكندرية منذ أنشئت حتى الفتح العربي ، ولم ينقطع « دار العلم » أو « مجلس التعليم والدرس » منذ أن كان ذلك في المتحف وظل في الأغلب مستمرا فيه الى أن تخرب في القرن الثالث وظهرت مدارس أخرى ، إذ في أكبر الظن أن الاسكندرية كانت تحتضن أكثر من مدرسة . ولا بد على كل حال في التعليم من مقر أو دار أو مجلس ، بعبارة أخرى من مدرسة ثابتة تشد إليها الرحال .

ولا تحسبن أننا حين قصرنا الحديث على الرياضيين والفلكيين والأطباء قد بعدنا عن موضوع المدارس الفلسفية ، بل ذلك من صميم الفلسفة . لأن الفلسفة في عصرها الذهبي كانت تعتمد على العلم ، وكان الفلاسفة علماء . وحين أنشئ المتحف نهض بانשאئه رئيسا اللوقيين ، وهما اللذان وجهاه

هذه الوجهة العلمية . وعندما انتقلت الفلسفة إلى العرب كان فلاسفتهم علماء أو أطباء أو رياضيين وجمعوا بين العلم والفلسفة ، مثل ابن سينا وابن رشد .

لم يكن المتحف مقر مدرسة الاسكندرية وحده وإنما أنشئ معه شيء آخر لا تتم المدارس إلا به ، وهذا الشيء هو المكتبة . وقد عرفت المكتبات من قبل إنشاء الاسكندرية ، وبخاصة في أثينا كعبة الثقافة العالية منذ القرن الخامس قبل الميلاد . ثم شرعت مدن أخرى تحذو حذوها وتنشئ مكتبات تحتفظ فيها بمؤلفات الشعراء والادباء والعلماء والفلاسفة . ولم يشأ بطليموس الأول أن تكون عاصمة ملكه أقل شأنًا من غيرها من المدن ، فأمر بإنشاء مكتبة ظفرت في المستقبل بشهرة عظيمة لكثرة ما كانت تحتوى عليه من مؤلفات .

أسس المكتبة ديمتريوس الفاليري ( من مدينة فاليريون في اتيكا ) ، عاش الشطر الأكبر من حياته في القرن الرابع ، كان تلميذ ثاوفراسطس ، واشتغل بالسياسة وأصبح حاكم أثينا من سنة ٣١٧ إلى ٣٠٧ ، ثم نفى من أثينا فرحب به بطليموس وعهد إليه بإنشاء المكتبة ، التي استغرقت زمنا ورعاية وعناية لاستكمالها ، بغية الحصول على الكتب المختلفة في شتى الفنون .

كانت هيئة الكتاب مختلفة اختلافا بيننا عن هيئته المألوفة لنا في الوقت الحاضر . كتاب اليوم مطبوع على ورق رقيق

وفي حجم دقيق . وكتاب الأمس مخطوط على ورق البردي وحجمه كبير . كانت الكتب عبارة عن لفائف من ورق البردي ، ولذلك كانت تشغل مكانا واسعا ، وبخاصة اذا اشتملت المكتبة على آلاف كثيرة من الكتب . وقد بلغ عدد ما في مكتبة الاسكندرية ٢٠٠,٠٠٠ في عهد مؤسسها بطليموس الأول ، ونمت حتى بلغ عدد كتبها ٧٠٠,٠٠٠ زمان يوليوس قيصر .

فكيف تسنى جمع هذا العدد الغزير ؟ لقد اتخذ ملوك البطالسة كل سبيل للحصول على الكتاب ، ولم يبخلوا بمال أو سلطان . ومن هذه الوسائل أن بطليموس الثالث أصدر أمره بأن يؤخذ من كل وافد في البحر ما معه من كتب ، فاذا لم تكن موجودة بالمكتبة أخذت منه وأعطى بدلها نسخة يقوم النساخ بانجازها . وكان لرؤساء المكتبة الفضل الأكبر في اكتسابها هذه السمعة الطيبة . وهذه قائمة بأسماء الأوائل منهم :

١ - ديمتريوس الفاليري	٢٨٤ ق . م
٢ - زنودوتس الافسوسى	٢٨٤ - ٢٦٠
٣ - كاليماخوس القورينائى	٢٦٠ - ٢٤٠
٤ - ابولونيوس الروديسى	٢٤٠ - ٢٣٥
٥ - اراتستنس القورينائى	٢٣٥ - ١٩٥
٦ - ارستوفانس البيزنطى	١٩٥ - ١٨٠

٧ - أبولونيوس أيدوجرافس ١٨٠ - ١٦٠

٨ - أرسطارخس ١٦٠ - ١٤٥

ونود أن نقف بعض الشيء عند اثنين كاليماخوس واراتستينس ، لأن الحديث عنهما يعرج بنا على مدرسة فلسفية هي المدرسة القورينية . سميت كذلك نسبة الى « قورينا » في ليبيا ، ومكانها الآن مدينة شحات . أنشأ المدينة مهاجرون من جزيرة كريت في القرن السابع في الجبل وعلى مقربة من البحر ، وجعلوها بما شيدوه من معبد وملعب ( جمنزيوم ) ومحكمة وغير ذلك مدينة يونانية تماما . وقامت بها مدرسة فلسفية أسسها أرسطوبس صاحب المذهب الأخلاقي الذي اشتهر بالأقبال على اللذة ، وحقيقة المذهب أنه يهدى المرء الى « فن الحياة » . وفي قورينا عمل ثيودورس الرياضى الذى تعلم فى أثينا ، وعاد الى موطنه ، وزاره أفلاطون فى شبابه وعاش معه زمنا . ويبدو أن المدرسة جمعت بين الدراسات الأدبية والفلسفية والرياضية ، فكان أراتستينس من أشهر الرياضيين .

ولد كاليماخوس بقورينا حول سنة ٣٠٠ ، وبها درس ، ثم أكمل تعليمه فى أثينا ، وعين رئيسا لمكتبة الاسكندرية سنة ٢٦٠ وتوفى ٢٤٠ . وهو الذى صنف كتب المكتبة ، وعمل كتالوجا قسمه ثمانية أقسام بحسب المؤلفين : ( ١ ) شعراء الدراما ( ٢ ) شعراء الحماسة والفناء ( ٣ ) المشرعون ( ٤ ) الفلاسفة ( ٥ ) المؤرخون ( ٦ ) الخطباء

( ٧ ) البغاء ( ٨ ) منوعات . واكبر الظن أن الرياضيين والأطباء والعلماء كانوا تحت القسم الخاص بالفلاسفة .  
عاش اراتستينس ( ٢٧٦ - ١٩٤ ) في القرن الثالث ، تعلم بقورينا ثم درس في أثينا ، وأختص بالرياضيات والفلك والجغرافيا دعاه بطليموس الثالث وعينه عضواً بالمتحف ، ثم رئيس المكتبة سنة ٢٣٥ واستمر بها إلى أن توفي أي زهاء أربعين عاماً . وقد اشتهر اراتستينس بأن قياسه لمحيط الأرض كان أقرب قياس إلى الصواب ، وذلك على أساس قياس المسافة بين الاسكندرية وأسوان وهي مسافة معروفة ، واعتباره أن أسوان تقع على مدار السرطان ، أي خط عرض ٢٣ تقريباً . وهنا يحق لنا التساؤل عن الصلة بين المتحف والمكتبة ، فقد رأينا علماء شغلوا منصب الرياسة بالمكتبة ، ولعلمهم مارسوا نشاطهم العلمى بها . واكبر الظن أن المكتبة ولو أنها كانت مستقلة إلا أنها كانت تخدم المتحف الذى يستعين علماءه بما فيها من مؤلفات . مهما يكن من شئ ليس بين أيدينا ما يلقي ضوءاً على هذه الصلة .  
مرت بالمكتبة محن كثيرة انتهت إلى زوالها . وأول محنة أصابتها عند حصار يوليوس قيصر للاسكندرية ، وكانت المكتبة عامرة مزدهرة ، فلما أحرق قيصر الميناء امتدت السنة النيران إلى المكتبة . ويقال ان أنطونيوس وهب كليوباترا ٢٠٠,٠٠٠ كتاب من برجام سنة ٤١ ق.م ، تعويضاً لما فقد منها .



ولما بدأ ساعد المسيحية يشتد شيئاً فشيئاً منذ القرن الثاني ، كان المسيحيون يعتقدون أن المكتبة والمتحف جناحان لقلعة الكفر والألحاد . ونحن نعلم أن المسيحية لقيت عناء شديداً في مكافحة الوثنية القائمة على الفلسفة اليونانية ، وكان الصراع بين المسيحية دينسا ، والوثنية ثقافة وأدبا وفلسفة صراعاً مرأاً لم تستطع المسيحية أن تتغلب عليها الا في القرن الرابع ، وحين تنصر الأباطرة أنفسهم فأيدوا الدين بسطان الدولة . وقد دمرت المكتبة في عهد الامبراطور ثيودوسيوس وذلك بأمر البطريرق ثيوفيل بطريق الاسكندرية ( ٣٨٥ - ٤١٢ ) الذي كان معادياً للوثنية . وقد شاع أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر عامله عمرو بن العاص بحرق المكتبة ، وهي قصة العرب منها براء ، لأن المكتبة كما رأينا لم يكن لها وجود عند الفتح العربى .

ومن المعروف تاريخياً أن ثمة مدارس فلسفية مسيحية نشأت في الاسكندرية ، واستطاعت هذه التعاليم المنظمة أن تكافح وثنية اليونان . وأقدم هذه المدارس تلك التى أنشأها بنتينس (Pantaenus) الذى رأس المدرسة الرواقية فى الاسكندرية ، وكان قد تحول الى المسيحية . ثم تولى رئاسة هذه المدرسة كليمنت الاسكندري ، ولد بالاسكندرية ١٥٠ ق . م ، وتحول الى المسيحية بعد أن درس فى عدة مدن ، وأعجبه تعليم بنتينس فتبعه ، ورأس المدرسة

سنة ٢٠٠ ق . م . ومن هذه المدرسة ظهر أوريجين الذي أخذ من كليمنت من جهة ، ومن أمونيوس سكاس من جهة أخرى . ويعد أوريجين مؤسس الأفلاطونية المحدثة في رواية ، كما يعد أمونيوس سكاس ( ١٧٥ - ٢٥٠ ) هو المؤسس في رواية أخرى . ولد أمونيوس من أبوين مسيحيين ، ولكنه ارتد عن المسيحية إلى الفلسفة اليونانية وديانتها . وكانت تعاليمه شفهوية سماعية ، ويقال أنه وفق بين تعاليم أفلاطون وأرسطو .

## مدرسة أفلوطين

إذا كانت بوادر الأفلاطونية المحدثة بدأت من أوريجين ، فإن حامل لوائها بمعنى الكلمة هو أفلوطين . وعلى الرغم من أن مدرسته كانت في روما إلا أنه يعد من مدرسة الاسكندرية ، فهو فيلسوف أسكندراتي ، وأكثر من هذا فهو مصري .

ولد في ليقوبوليس - وهي أسيوط حاليا - بمصر الوسطى ، سنة ٢٠٥ وتوفي ٢٧٠ بعد الميلاد . ولا ندرى شيئا عن نشأته الأولى وأسرته ، لأنه كما يقول تلميذه فرفروريوس الصوري ، كان يابى أن يتحدث عن آباءه وأقربائه وموطنه . وفرفروريوس هو الوحيد الذي كتب سيرة أفلوطين ، وهو الذي نشر تأسوعاته ، وسنتكلم عنه بعد حديثنا عن أفلوطين ، وما نعرضه الآن عن أفلوطين مستمد مما دونه فرفروريوس ، فلا حاجة للإشارة إلى الموضوع الذي أخذنا عنه . قال فرفروريوس :

على الرغم من امتناعه بوجه عام عن الحديث عن حياته الخاصة إلا أنه روي لنا بعض التفاصيل خلال أحاديثه

معنا . ففي الثامنة والعشرين من عمره أصابته حمى  
الفلسفة فاتجه الى أبرز معلميها بالاسكندرية ، إلا أنه كان  
يعود بعد الاستماع الى محاضراتهم حزينا مهيبض الجناح .  
فلما رأى أحد أصدقائه ما هو عليه من خيبة أمل وكان  
يعرف مزاجه صحبه الى أمونيوس الذي لم يكن قد حضر  
عليه بعد . وبعد أن سمع أفلوطين محاضراته قال لصاحبه  
متعجبا : « هذا هو الرجل الذي كنت أنشده » .

ومنذ ذلك اليوم استمر يتبع أمونيوس حتى بلغ من  
تقدمه في الفلسفة أنه رغب في الاطلاع على مناهج الفرس  
والمذهب السائد بين حكماء الهند . وصادف أن الامبراطور  
جورديان كان يعد حملة يجردها على الفرس فالتحق  
أفلوطين بالجيش وذهب مع الحملة ، وكان عند ذلك في  
التاسعة والثلاثين من العمر ، اذ كان قد أمضى أحد عشر عاما  
في صحبة أمونيوس . وانهزم الجيش في العراق وقتل  
الامبراطور وهرب أفلوطين الى انطاكية ثم ذهب الى روما  
واستقر بها وهو في الأربعين من العمر .

كانت روما عاصمة الامبراطورية وقلب العالم المتحضر في  
ذلك الزمان ، فاجتذبت اليها عدداً من العلماء والفلاسفة  
والادباء . في هذه العاصمة أنشأ أفلوطين مدرسته ، التي  
ظفرت بتأييد الامبراطور ، فكفاه بذلك مؤونة الانفاق على  
المدرسة . ولم تقتصر المدرسة على الامبراطور جاليانوس  
الذي حكم من ٢٦٠ الى ٢٦٨ ، وكان أديبا فيلسوفا ، بل

شاركته زوجته الحضور على أفلوطين . ويبدو أن المدرسة كانت تستقبل النساء كما تستقبل الرجال ، واحداهن سيدة تدعى « جمسانا » كان أفلوطين يسكن في دارها . ويبدو كذلك أن المدرسة كانت تفتح أبوابها لكل طالب ، فقد ذكر فر فريربوس في السيرة التي كتبها عن أفلوطين أنه كان يمنع من الجلوس أمام المصورين أو النحاتين ليرسموا صورته أو ينحتوا له تمثالا ، حتى أن تلميذه أميلبوس حين طلب منه أن يسمح بالوقوف أمام مصور ، أجابه : « ألا يكفي أن نحمل هذه الصورة التي قيدتنا الطبيعة فيها ؟ أتحسب حقا أنني يجب أن أرضى بأن أترك الخلفى صورة للصورة » فلما أبى أفلوطين عهد أميلبوس الى صديق له اسمه « كاتريوس » يجيد الرسم ، فأدخله الى المدرسة يستمع الى دروس أفلوطين ، وكانت الدروس مباحة لكل طالب .

كان هدف أفلوطين من المدرسة أن تكون نبراسا يهدى النفوس الى التقوى والصلاح والخير ، فكان يصرف تلاميذه عن الاشتغال بأمور الدنيا ، ويحملهم على حياة من الزهد توصل الى شفاء النفس بالتجرد عن جميع العلائق وامانة سائر الشهوات . وكان هو نفسه مهملأ أمر جسده محتقرا اياه ، ممتنعا عن أكل اللحم . وقد استهوت هذه التعاليم كثيرا من التلاميذ حتى أن « روجاتيانوس » عضو الشيوخ نزل عن أملاكه وأمواله وعبيده والقابه ، وسار في طريق الزهد حتى أصبح لا يأكل الا مرة واحدة كل يومين . وكان

للناس - رجالا ونساء - فيه اعتقاد عظيم ، حتى انهم عندما كانت تحضرهم الوفاة يعهدون بأبنائهم وبناتهم وما يملكون لرعايته ووصايته ، فكان منزله يعج بالصبيان والبنات ، وكان الى ذلك يقوم بتعليمهم الأدب والشعر ، ويأخذ بيدهم الى طريق الفلسفة ، ويحتفظ بأموالهم لا يمسه حتى يبلغوا مبلغ الرجال وسن الرشد .

وكانت المدينة الفاضلة الحلم الذي راود معظم الفلاسفة اليونانيين ، وعلى رأسهم أفلاطون صاحب الجمهورية أو المدينة الفاضلة المثالية . وانتهر أفلوطين فرصة منزلته عند الامبراطور جاليانوس وزوجته سالونينا ، تلك المنزلة التي كادت تبلغ التقديس والعبادة ، فطلب منهما أن يعيش هو وأتباعه في « كامبانيا » التي كانت فيما يروى مدينة للفلاسفة في قديم الزمان ثم تهدمت وخربت . ورأى أفلوطين اعادة بناء المدينة ، وأن يعيش السكان في ظل القوانين التي يضعها لهم ، ويسمى المدينة « فلاتونوبوليس » Platonopoiis \*

ومعنى بوليس Polis باليونانية مدينة ، ومنها هليوبوليس احدى ضواحي القاهرة ، ومعناها مدينة الشمس . وعزم أفلوطين الاقامة مع أتباعه في تلك المدينة لولا أن حساده في البلاط حالوا بين الامبراطور وبين تنفيذ وعده .

وكان بالمدرسة تلاميذ كثيرون ، الا أن أشهرهم كان أميلئوس ، وكذلك طبيب من الاسكندرية اسمه أسطوخوس

لزم افلوطين في أواخر حياته إلى أن توفي ، واتبع مذهب افلوطين وأصبح فيلسوفا على الحقيقة . هذا إلى جانب فرفيوس كاتب هذه السيرة ، والذي عهد إليه افلوطين بمراجعة كتابه ونشره . وكان افلوطين في التاسعة والخمسين عندما اتصل به فرفيوس قادما من أثينا . وظل افلوطين زهاء عشر سنوات لا يدون شيئا ولا يكتب فلسفته ، بل يتحاور مع جماعة من الأصحاب على أساس ما تعلمه من أمونيوس . ويمضي فرفيوس في روايته بعد ذلك قائلا : اننى حين أول ما التقيت به كان قد ألف خمسا وعشرين مقالة - وستسمى المقالة فيما بعد تاسوعا - حصلت عليها على الرغم من أنه لم يعطها الا لعدد قليل جدا . الحق أنها وزعت بعناية شديدة ، ولم يضع افلوطين لهذه المقالات عناوين ، فاجتهد كل من حصل عليها أن يضع لها العنوان المناسب . وظللت على صلة وثيقة به مدة ست سنوات ؛ وألف بعد ذلك أربعا وعشرين مقالة أخرى ، ثم أرسل لى حين كنت بصقلية وقبل وفاته بمدة قصيرة أربعا أخرى ، فأصبحت جملتها أربعا وخمسين . وعندما نشر فرفيوس هذه المقالات قسمها ستة أجزاء ، في كل جزء تسع مقالات ، ومن هنا جاء اسمها وهو تاسوعات افلوطين . وقد نقل بعضها في عصر الترجمة ، وسميت كتاب « الربوبية » ونسبت خطأ لارسطو ، قام بالترجمة ابن ناعمة الحمصي وصححها يعقوب الكندي .

ويمضي فريريوس قائلاً : وكان لابد لي من مراجعة ما كتبه ، لأنه لم يكن يطبق إعادة قراءة ما كتب ، ولم تكن حالة بصره تسمح له بذلك . كان خطه رديئاً ، يسىء الربط بين الألفاظ ولا يعنى بقواعد الإملاء ، لأن عنايته الوحيدة اتجهت نحو الفكرة ، وقد لزمته هذه العادات طول حياته . وقد تعود أن يتصفح خطة بحثه في ذهنه من أولها الى آخرها حتى اذا جلس لتدوينها جرى القلم على الورق بما احتفظ به في ذهنه بجرة واحدة وكأنه ينسخ من كتاب مفتوح . واذا عرض له أن يتحدث مع شخص ما أقبل عليه بكل حواسه مع الاحتفاظ بتسلسل فكره واضحا أمام ذهنه . حتى اذا انصرف محدثه ، لا يرجع أبدا الى ما سبق أن كتبه ، بل يصل ما انقطع وكأن شيئاً لم يصرفه عن التفكير . وهكذا كان يعيش في داخل نفسه ومع الآخرين في آن واحد .

أما في محاضراته فكان بارعا في العرض مع قدرة فائقة على الابتكار والفهم . وهو حين يتكلم كان نور عقله يضيء وجهه بشكل واضح . وكان على استعداد أن يتلقى الاعتراضات ويجيب عنها بنفس القوة التي وجهت اليه . وقد استمر فريريوس يوجه اليه مدة ثلاثة أيام أسئلة عن ارتباط النفس بالبدن ، واستمر يجيب عنها بغير انقطاع . كان موجز الأسلوب ، مركز الفكر ، معناه أوسع من لفظه ، ملهما في تعبيره . وقد جمع في كتاباته بين مذاهب الرواقية



والمشائية مدمجا بوجه خاص فيها ميثافيزيقا أرسطو .  
حصل العلم النظرى بالهندسة والميكانيكا والبصريات  
والموسيقى ، غير أنه لم يكن على استعداد للمضى فى دراستها  
دراسة تامة عميقة .

وطريقته فى التعليم فى أثناء المحاضرات أن تقرأ رسائل  
المؤلفين بصوت عال ؛ من الأفلاطونيين سقيروس أو  
كرونيسوس ، أو كايوس ، أو أتيكوس . ومن المشائين  
اسباسيوس ، والاسكندر ، وأوراستوس وغيرهم . ولكنه لم  
يتبع أى واحد منهم اتباعاً أعمى ، بل اتخذ لنفسه وجهة  
نظر شخصية مبتكرة مطبقاً منهج أمونيوس فى فحص  
المسائل .

حدث ذات يوم أن حضر أوريجين فى حجرة درسه ،  
فاجهر وجه أفلوطين وأوشك أن ينهى المحاضرة . فلما  
رغب إليه أوريجين أن يستمر أجابه : أن نار الحماسة لتخبو  
حين يشعر المتكلم أن السامعين لن يتعلموا منه شيئاً .

واليك حكم لونجينوس - أحد فلاسفة ذلك العصر كان  
يعيش ويعلم فى أثينا - على أفلوطين ، من خطاب له أرسله  
الى فريريوس . قال : عندما كنت صبياً أفسحت رحلات  
والدى الطويلة لى فرصة رؤية أفضل معلمى الفلسفة ،  
وظللت على اتصال بجميع الأحياء منهم فى المدن التى كنت  
أرحل إليها . كان بعضهم يصوغ أفكاره فى مؤلفات يتركها  
لإيادى الخلف ، وكان بعضهم الآخر يقنع بأن يفهم عنه

السامعون . وممن لم يكتب أمونيوس وأوريجين ، وقد حضرت عليهما بنفسى واعترف بامتيازهما على أقرانهما . وهناك كذلك فى أثينا ثيودورس ويوبولس . وممن كتب من الأفلاطونيين أقليدس وديمقريطس وبرقلينوس ، ثم اثنان لا يزالان يعلمان الفلسفة فى روما وهما أفلوطين وصاحبه أميليوس . وهذان وحدهما يظهر عليهما الروح الصادقة لصناعة التأليف فى المسائل التى يعالجانها . ويبدو أن أفلوطين يلقى على مبادئ فيثاغورس وأفلاطون ضوءاً أسطع من أى فيلسوف سبقه . ويحذو أميليوس عن قصد حذو أفلوطين وقد اصطنع معظم آرائه .

يتضح من ذلك أن حياة المدرسة كانت شديدة الجدل مع سيادة روح البحث الحر ، وأن الطلبة كانوا يتعلمون كتابة المقالات وأنشاء الرسائل . هذا إلى قراءة نصوص الفلاسفة وشرحها والتعليق عليها . وكان الطلبة يقرءون أبحاثهم ويناقشون فيها علانية . وإلى جانب ذلك تراسلت المدارس من شتى المدن فيما بينها ، يتبادل الأساتذة والطلبة الأفكار ويتحاورون على البعد كما رأينا فى المراسلات بين لونجينوس وفريريوس . وهكذا استطاع أفلوطين بأصالة تفكيره أن يجدد الأفلاطونية وأن يمزج بينها وبين المشائية والرواقية والفيثاغورية ، وأن يخرج بمذهب جديد ، ومدرسة جديدة ، تعيد آخرى المدارس الفلسفية اليونانية .

الجديد في هذه الفلسفة منهجها ، ونظرتها الى النفس ،  
وتفسيرها للوجود . منهجها التأمل في باطن النفس ،  
والترقى الى آفاق أعلى بطريق الجدل صعودا حتى تبلغ  
النفس منبع النور والبهاء ، ثم تهبط بعد ذلك وقد  
استفادت من الحق . وقد كان الجدل منهج أفلاطون ، ولكن  
جدل أفلوطين مختلف عنه من حيث اعتماده اعتمادا مطلقا  
على التأمل الباطن ، واستخلاص الحقائق من النفس ذاتها ،  
على حين أن جدل أفلاطون كان يبدأ من المحسوسات ومن  
المباحث في الرياضة والنظر الى الاشكال الرياضية ليصعد  
منها الى المثل ، الى الصور المجردة ، ثم يهبط بعد ذلك الى  
العالم المحسوس بعد أن يكون الفيلسوف قد عرف المثل  
ليصلح من حال المدينة . لم يكن أفلاطون هاربا من عالم  
الواقع ، هائما في عالم المعقولات ، كلا كان هربه مؤقتا ليعود  
مرة أخرى الى الواقع يصلح من أمره ، ويحقق فيه الخير  
والعدل . أما أفلوطين ، فان الظروف السياسية والاجتماعية  
التي سادت العالم في زمانه ، مع بداية انهيار الامبراطورية  
الرومانية وانتشار الفساد مع كثرة الحروب التي خربت  
البلاد ، جعلته يهرب من ذلك العالم الذي فقد الناس الأمل  
في صلاحه الى عالم آخر ، أما بالانطواء داخل النفس ، وأما  
بالرجاء في حياة أخرى أسعد من الحياة الدنيا . وقد قال  
أفلوطين بالطريقتين ، أن يحصر الانسيان نفسه في داخل  
نفسه وينطوى عليها ويزهد في مباحج الحياة الدنيا كما رأينا

من سيرته ، وأن يسعى الى السعادة في الحياة الآخرة . ولا شك أن المسيحية التي كانت معاصرة لفلسفة أفلوطين قد تأثرت بتعاليمه ، كما تأثر مذهبه بأراء فلاسفة المسيحيين الذين ظهوروا في الاسكندرية .

ويختلف الأساس الفلسفى عند أفلوطين عن الأساس الذى قامت عليه الفلسفة اليونانية من قبل الى أفلاطون وأرسطو . حاولت الفلسفة اليونانية تفسير الوجود ، أى بيان كيفية وجود الموجودات ، فذهب بارميندس أن الوجود موجود ، أى أنه حقيقة أولية لا تحتاج الى اثبات ، وعند أفلاطون أن الوجود نوعان معقول ومحسوس ، وأن الوجود المعقول - نعى عالم المثل - أصل الوجود المحسوس . ولكن الموجودات المحسوسة التى نشهدها فى هذا العالم ليست الا ظلالا وأوهاما ، أما الحقيقة فهى أمثال هذه الموجودات . والمثال معقول . ولذلك كانت فلسفة أفلاطون مثالية . ولما جاء أرسطو لم يفصل هذا الفصل فى الوجود بين عالمين ، بل قال ان الموجود مركب من مبدأين المادة والصورة . صفوة القول الفلسفية اليونانية فلسفة وجود ، وتعريف أرسطو للفلسفة الأولى - أو الميتافيزيقا - أنها هى العلم بالموجود من حيث هو موجود .

أما فلسفة أفلوطين فهى فلسفة واحد . الواحد فى قمة الوجود ، وأعلى منه ، وعن الواحد يصدر العقل ، وعن العقل تصدر النفس . وهكذا يبدأ

أفلوطين بثالوث متدرج في القيمة ، على رأسه « الواحد » .  
ومن هنا كانت فلسفته مختلفة عن أفلاطون وأرسطو . أما  
مفهوم الواحد عنده فليس واضحا متميزا ، فهو تارة الله ،  
وهو تارة أخرى الخير ، وهو تارة ثالثة الأول . مهما يكن من  
شيء فإن الواحد أعلى من الوجود .

أذن كيف جاء الوجود عن الواحد ؟ أول موجود صدر  
عن الواحد هو العقل ، فاض عنه لأنه صورة من الواحد ،  
أو شبح له ، ثم يصدر عن العقل النفس التي هي صورة  
أدنى من العقل .

ولكن كيف يعرف الإنسان أنه جزء من النفس الكلية ،  
وكيف وصل إلى معرفة العقل ومعرفة العالم الإلهي الذي  
هو فوق العقل ؟ فلنترك أفلوطين يحدثنا عن هذه المعرفة  
التي تتم بطريق الجدل ، وذلك من الترجمة العربية القديمة  
التي أصلحها الكندي . قال :

« انى ربما خلوت بنفسى ، وخلعت بدنى جانبا ، وصرت  
كانى جوهر متجرد بلا بدن ، فأكون داخلا فى ذاتى ، راجعا  
إيها ، خارجا من سائر الأشياء ، فأكون العلم والعالم  
والمعلوم جميعا . فأرى فى ذاتى من الحسن والبهاء والضياء  
ما أبقى له متعجبا بهتا ، فأعلم انى جزء من أجزاء العالم  
الفاضل الشريف الإلهى ، ذو حياة فعالة . فلما أيقنت بذلك  
ترقيت بدانى من ذلك العالم إلى العالم الإلهى فصرت كأنى  
موضوع فيه ، متعلق به ، فأكون فوق العالم العقلى كله ،

فأرى كأنى واقف في ذلك الموقف الشريف الالهي ، فأرى هناك من النور والبهاء ما لا تقدر الألسن على صفته ولا تعيه الأسماع . فإذا استفرقني ذلك النور والبهاء ، ولم أقو على احتمالها ، هبطت من العقل إلى الفكرة والرؤية ، فإذا صرت في عالم الفكرة والرؤية حجبت الفكرة عنى ذلك النور والبهاء ، فأبقى متعجبا كيف انحدرت من ذلك الموضوع الشامخ الالهي ، وصرت في موضع الفكرة . . . »

لقد عرفت الفلسفة الإسلامية أفلوطين عن هذا الكتاب ، ولكنه نسب خطأ إلى أرسطو ، وكان ذلك علة التوفيق بين الحكيمين أفلاطون وأرسطو ابتداء من الفارابي إلى ابن سينا ، فقالوا بمراتب الوجود وتسلسلها عن الأول .

وبعد وفاة أفلوطين خلفه في رئاسة المدرسة بروما تلميذه وناشر التاسوعات وهو فريريوس الصوري . ( ٢٣٢ - ٣٠٥ ) . ولد بصور وأمضى شبابه بها ، وحصل كثيرا من المعارف الدينية والفلسفية في فلسطين وسوريا ، ثم ذهب إلى أثينا وتعلم على لونجينوس ، وانتقل إلى روما حيث التحق بمدرسة أفلوطين ، وتولى رئاستها بعد موته ، وتمتع بشهرة واسعة وسمعة طيبة وحضر عليه كثير من الطلبة منهم « يامبليخوس » الذي يعد من أشهر الأفلاطونيين المحدثين في سوريا .

عُرف فريريوس في العالم العربي منذ عصر الترجمة واستمر يؤثر في الفلسفة العربية بكتاب له يسمى

« إيساغوجي » سنعود الى الحديث عنه بعد قليل . فاذا كان العرب قد جهلوا افلوطين بسبب ذلك الخلط الذي وقع في ترجمة كتابه ، فقد عرفوا تلميذه معرفة وثيقة ، وقبلوا بعض آرائه ورفضوا بعضها الآخر . ومهما يكن من شيء فان آراء فريريوس في جملتها امتداد لآراء أستاذه ، ولو انه نحا بها نحو آخر . ولهذه الشهرة عند العرب نطيل في عرض مذهبه بعض الشيء .

له مؤلفات كثيرة منها « فلسفة الكهانة » يصور فيه العبادات الدينية في هياكل الوثنيين بحسب ما كانت تمارس عند المصريين والكلدانيين والسريان . ومنها « صور الالهة » يدافع فيه عن الوثنية ويبين ان عبادة الاصنام لا تنطوي على كفر كما يزعم المسيحيون واليهود ، لانها رموز محسوسة تقرب الى الاله وله كتاب « الرد على النصراني » يبدو انه كتبه بدافع سياسي لأن الامبراطور في روما أصبح يخشى تزايد قوة المسيحيين الى جانب المحنة التي كانت الامبراطورية تمر بها من شيوع البؤس والفقر والخراب وتهديد الولايات بالانفصال وانقراض البرابرة على أطراف الامبراطورية تمر بها من شيوع البؤس والفقر والخراب الفلسفة اليونانية وهي القائمة على العقل على الدين المستند الى الايمان . وله كذلك رسالة « في الرد على انابو » وهو كاهن مصري ، يرد فيه على عقائد قدماء المصريين منعليا شأن الفلسفة .

كان أفلوطين قد تكلم في خلود النفس وقدم أدلة جديدة  
خلاف أدلة افلاطون التي ذكرها في محاوره فيدون ، فقال  
في التاسوعات ان النفس « ليست بجرم وأنها لا تموت  
ولا تفسد ولا تفتنى بل هي باقية دائمة » وأن النفس النقية  
الطاهرة التي لم تدنس بأوساخ البدن هي التي إذا فارقت  
تعود الى الجوهر النفساني الأعلى أما التي تتصل بالبدن  
وتخضع لشهواته فاذا فارقت لم تصل الى عالمها الا بتعب  
شديد . ومعنى ذلك ان النفس - كما ذكرنا من قبل - متوسطة  
بين عالم العقل وعالم الهيولى ، فاذا شغلت بالنظر العقلي  
اتصلت بعالم العقل ، واذا انغمست في الشهوات هبطت  
الى عالم الهيولى . وهذا هو رأى فرقريوس كذلك الا انه  
بدلا من الحياة العقلية الصرفة ينادى بممارسة العبادات  
والطقوس وطهارة النفس بالزهد والامتناع عن الشهوات .  
وكان أفلوطين مثل معظم الفلاسفة الأقدمين يميز بين  
العالم المحسوس والمعقول ، ولكنه تميز عن السابقين بمنهجه  
الجدلى الذي يتأمل في باطن النفس ليصعد من ذلك الى  
عالم العقل ، وفي ذلك يقول : « ان من قدر على خلع بدنه ،  
وتسكين حواسه ووساوسه وحركاته ، قدر أيضا في فكرته  
على الرجوع الى ذاته ، والصعود بعقله الى العالم  
العقلي . . . » ( الربوبية ص ٤٤ ) . فأفلوطين كما نرى  
لا يخلط بين النفس والعقل ، ولا يقول الا بالتأمل والنظر .  
أما فرقريوس فانه يشترط فضائل عملية من زهد وامتناع

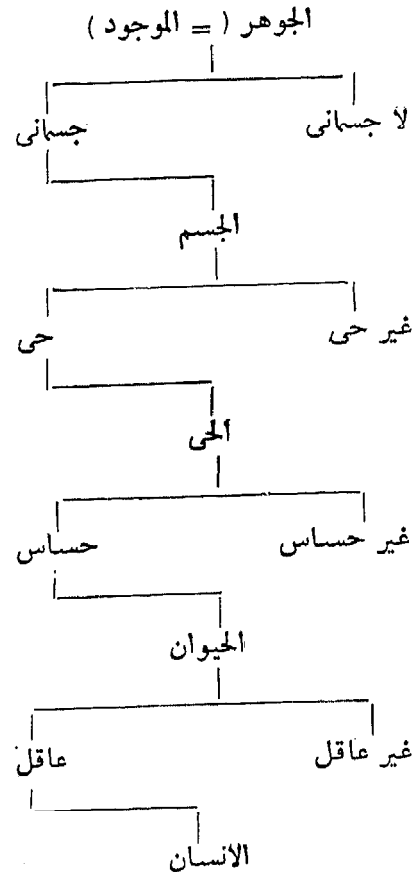


عن أكل اللحوم وغير ذلك كى تصعد النفس الى عالم  
المعقولات . ويبدو أنه كان يقول « ان ذات النفس تصير  
هى المعقولات » ، ولذلك اعترض عليه ابن سينا فقال :  
« فهذا من جملة ما يستحيل عندى . فانى لست أفهم  
قولهم ان شيئاً يصير شيئاً آخر ، ولا أعقل أن ذلك كيف  
يكون . . . وأكثر ما هوس الناس فى هذا هو الذى صنّف  
لهم ايساغوجى ، وكان حريصاً على أن يتكلم بأقوال مخيلة  
شعرية صوفية يقتصر منها لنفسه ولغيره على التخيل ؛  
ويدرس أهل التمييز على ذلك كتبه فى العقل والمعقولات  
وكتبه فى النفس » .

والذى صنّف ايساغوجى هو فروريوس ، وايساغوجى  
باللغة اليونانية تعنى المقدمة أو المدخل . وكتابه المدخل  
الى مقولات أرسطو ، ألفه لتلميذه خريساريوس الذى كان يطلب  
العلم فى مدرسة أفلوطين ، وهو أحد أعضاء مجلس الشيوخ  
فى روما ، قرأ مقولات أرسطو فعجز عن فهمها ، فكتب الى  
فروريوس وهو فى صقلية يقص عليه أمره ويطلب عونه ،  
فصنّف له مدخلا الى المقولات يشرح فيه الكليات الخمسة  
وهى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ،  
فاشتهر الكتاب الصغير حتى وصفه العرب بأنه « سار  
مسير الشمس حتى يومنا هذا » .

ومعنى المقولة : ما يقال عن الشيء ؛ وهذا فى غاية  
الأهمية فى تعريف الشيء وتحديد ماهيته . ماذا نقول عن

سقراط ؟ (١) انسان ، (٢) طويل (٣) أبيض (٤) في الدار . .  
انى آخر المقولات العشر ، انسان مقولة الجوهر ، طويل  
مقولة الكم ، أبيض مقولة الكيف ، وهكذا . والمقولات العشر  
ضرب من تصنيف الموجودات . أما الكليات الخمس :  
الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، فانها  
ضرورية للتعريف والقسمة والبرهان . فانت تقول  
الانسان : حيوان ناطق ، وهو التعريف المشهور ، فانسان  
نوع ، وحيوان جنس ، وناطق فصل . وهذا التعريف  
يسمى الحد التام . والقسمة تقتضى تمييز الكلى الى أجزائه ،  
ومنها القسمة الثنائية ، وهناك تقسيم للموجودات  
مشهور ، يعرف « بشجرة فرفيوس » نسبة اليه ، وهى  
على النحو الآتى :



وهكذا دخل فروريوس تاريخ الفلسفة بمدخله  
وشجرته .

وبوته قفلت المدرسة أبوابها ، ان في روما او  
الاسكندرية ، وانتقلت بروحها الى الشرق مرة أخرى ،  
فظهر يامبليخوس ( ٢٧٠ - ٣٣٠ ) شارح أفلاطون وأرسطو  
مع ميل الى الأفلاطونية الحديثة ، ثم برقليس أو بروقلوس  
( ٤١٠ - ٤٨٥ ) الذي تعلم بالاسكندرية ثم عاد الى أثينا  
فأسس الأكاديمية ، ومزج بين الفلسفة والعلم الرياضي وحذا  
حذو الأفلاطونية المحدثة ، واشتهر عند الاسلاميين  
والمسيحيين على السواء في العصر الوسيط .

## مدرسة هينديسابور

انها همزة الوصل بين الفلسفة اليونانية والعربية ، على الرغم من أنها تقع في فارس . أما كيف انتقلت الفلسفة اليونانية اليها ، وبخاصة الفلسفة الاسكندرانية التي تميزت بنزعتها العلمية ، فلذلك قصة يجدر بنا أن نرويها .

لم ينقطع النزاع بين الفرس واليونان بعد خضوع اليونان لروما مع اتساع الدولة الرومانية اذ انتقل هذا النزاع فأصبح بين الفرس والرومان . وكان للرومان الغلبة دائما حين كانت الامبراطورية قوية ، فلما بدأت تضعف وتفكك انعكست الآية وانهزمت جيوشها أمام جحافل الفرس . وقد أشرنا عند الحديث عن افلوطين أنه انخرط في جيش الامبراطور جورديان الثالث مع حملته على الفرس ، بغية الاطلاع على مذاهب الشرق وما فيه من حكمة ، ولكن فشل الحملة ، جعلته يعود أدراجه ويتجه الى روما حيث افتتح مدرسته . نشبت الحرب لأن فارس قامت بها دولة الساسانيين على يد مؤسسها أردشير ، حتى اذا استتب له الأمر أرسل سنة ٢٣٠ الى روما يتحدى الامبراطور ويطلب اعادة الأقاليم التي كانت تابعة للفرس مثل آسيا الصغرى

وسوريا ، ومات أردشير سنة ٢٤١ ولما تبدأ الحرب ، التي نهض بها ابنه شابور ( ٢٤١ - ٢٧٢ ) ، والتقى بجيش جورديان ، الذي هزمه أول الأمر ، ولكن مصرع جورديان سنة ٢٤٤ أوقف الحرب ، واتفق على أن تحكم فارس أرمينيا ، وروما العراق . ثم نشبت الحرب مرة أخرى سنة ٢٥٨ ، وكان على رأس الجيش الروماني الامبراطور فاليريان ودارت الدائرة على الامبراطور وانهزم هزيمة ساحقة وأسر هو وجيشه .

أحسن شابور معاملة الأسرى ، واستطاع بما منحهم من حرية أن يستفيد منهم ، وكان فيهم كثير من الفنيين ، أطباء ومهندسين وصناع مهرة . وهؤلاء هم الذين قاموا ببناء السد الكبير على نهر دجيل عند تستر ، والمعروف باسم « شاذروان تستر » . وأنزل شابور - أو سابور - الأسرى في بقعة قريبة من مدينة سوس ، ومن مدينة تستر ، فأقاموا بها معسكرا أصبح مدينة « جنديسابور » أي معسكر سابور . وازدهرت المدينة وأصبحت قاعدة إقليم خوزستان أيام الساسانيين ، الذين اتخذوا من مدينة السوس مقرهم الشتوى ، ومن جنديسابور مقرهم الصيفى لطيب مائها واعتدال هوائها ، وظل ملوك الساسانيين كما يقول المسعودى فى مروج الذهب حتى زمان هرمز يقيمون بجنديسابور فى خوزستان .

وقد نعم الأسرى فى ظل الحكم الفارسى بحرية دينية

لم ينعموا بهسا في كنف الرومان ، الذين كانوا يضطهدون  
المسيحيين مما دفعهم الى التخفى وممارسة عباداتهم سرا .  
ولم يكن يعنى الفرس أن يحاربوا النصارى فتركوا لهم حرية  
بناء الكنائس . ثم ان جنديسابور لم تعد تحت حكم هرمز  
قاعدة العرش ، ففقدت بذلك أهميتها ، وأصبحت خرائب ،  
الى أن أعاد بناءها سابور الثانى سنة ٣٦٢ عقب انتصاره  
على الامبراطور جوليان ، ووقوع عدد من الأسرى في يديه ،  
فأنزلهم المدينة بعد تجديدها ، وكانت المسيحية قد انتصرت  
نهائيا على الوثنية ، فأصبح عبء نقل الحضارة اليونانية  
واقعا على عاتق الكنيسة ، وقام بها فى الشرق نصارى  
السريان وكانوا من النساطرة .

ولسنا ندرى على التحقيق ما كان من أمر المدرسة فى  
القرنين الرابع والخامس ، ولكن المؤكد أن كسرى أنوشروان  
( ٥٣١ - ٥٧٨ ) هو الذى أحاط المدرسة برعايته ، وطمع  
أن تكون على مثال المدارس الفلسفية وبخاصة مدرسة  
الاسكندرية التى كانت تعنى بالرياضيات والطب والفلسفة .  
وهو الاتجاه الاسكندراني الذى تحدثنا عنه من قبل . وهو  
الذى رحب بفلاسفة أثينا الذين طردهم جستنيان عندما  
أغلق أبواب الاكاديمية والمشائية . وعندئذ طبق المنهج  
الاسكندراني فى التعليم ، واستعملت الكتب نفسها التى  
كانت تدرس فى الاسكندرية ، ان فى الطب أو الرياضيات .  
ولم تكن جنديسابور هى المدينة الوحيدة فى فارس التى

كانت مقراً للعلوم والفلسفة ، بل ظهرت مدارس في مدن أخرى ، ذكر ياقوت في معجم البلدان ما يدل على وجودها اذ يقول عند الكلام عن « ريشهر » ، « وهى مختصر من وير اردشير ، ناحية من كورة أرءجان كان ينزلها في الفرس كشته دفتران ، وهم كتّاب كتابة الجستق (١) ، وهى الكتابة التى كان يكتب بها كتب الطب والنجوم والفلسفة ، وليس بها اليوم أحد يكتب بالفارسية ولا بالعربية » . والمقصود بالنجوم علم الفلك .

أخذ طب اليونان عن مدرستين ، مدرسة أبقراط الذى توفى في القرن الثالث قبل الميلاد ، ومدرسة جالينوس ( توفى ٢٠٠ بعد الميلاد ) . وأصل جالينوس من برجام بأسسيا الصغرى ، ولكنه عاش معظم حياته في روما ، ولا بد أنه اتصل بالاسكندرية وأطبائها . واعتمدت مدرسة الاسكندرية على كتبه ، واختاروا منها ستة عشر كتاباً لا بد لطالب الطب من حفظها ، وعليها اعتمدت مدرسة جنديسابور الطبية ، ونقلتها الى السريانية ، وعن هذه الكتب المترجمة الى السريانية نقلت الى اللغة العربية في عصر الترجمة . ومن أطباء الاسكندرية الذين تابعوا جالينوس : أوريباسيوس ، وايتيوس ، وأهرن ، الذى يسميه العرب أهرن القس ،

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل صوابها جُستقن ، بالنون لا بالقاف ، ومعناها بالفارسية البحث .



وهو طبيب وكاهن يهودى عاش في الألب في القرن الخامس ، وترجم « كناشه » أى كتابه الواقع في ثلاثين مقالة الى السريانية ثم الى العربية . ويلوح أن الذى أذاع كتب اهرن طبيب فارسى النشأة ، يهودى المذهب ، سريانى اللسان ، يسمى ماسرجويه أو ماسرجيس ، تولى نقل كتاب اهرن في خلافة مروان بن الحكم ( ٦٤ - ٦٥ هـ ) الى العربية .

ولكن مدرسة جنديسابور الطبية لم تقف عند طب بقراط وجالينوس ، بل أخذت أيضا بالطب الهندى الذى يعتمد على الأعشاب المعروفة اثرها بالتجربة وعلى التعاويذ والتمايم لطرد الأرواح الشريرة التى كانوا يعتقدون انها تسبب المرض . ويروى أن كسرى استدعى من الهند طبيبا ليعلم الطب على الطريقة الهندية في مدرسة جنديسابور وكذلك عنى كسرى بالأعشاب الهندية واستجلب بعضها الى فارس وزرعها في ضواحي جنديسابور ، ومنها « السكر » الذى يصنع من قصب السكر . ولفظة « سكر » هذه سنسكريتية ، درجت في اللغة الفارسية ومنها الى العربية . وقد استخرج السكر من عصير القصب حوالى القرن الرابع الميلادى في الهند ، فلما زرع في جنديسابور انشئت معاصر خاصة له . وفي ذلك الوقت كان السكر يستخدم في العلاج ، ولم يتخذ بدلا من عسل النحل وسيلة التحلية الا في زمان متأخر .

قلنا ان الفرس اهتموا بالطب والنجوم والفلسفة .

وعلم النجوم وهو الذى نسميه علم الفلك ، عنوا به عناية كبيرة ، ووضعوا بجنديسابور مرصداً على نسق ما كان موجوداً فى الاسكندرية . وعندما نقل العرب هذا العلم اخذوه عن الفرس ، ولذلك نجد كثيراً من المصطلحات الفارسية العربية ، مثل زيچ ، وهو لفظة من اللغة البهلوية المستخدمة زمان الساسانيين معناه السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم اطلق على الجداول العددية لمشابهة خطوطها الرأسية بخيوط السدى . واقدم كتاب ترجم فى علم الفلك هو « زيچ الشاه » .

واما الفلسفة فان كتب ارسطو ومنطقه بوجه خاص كانت على راس الكتب الفلسفية التى نقلها السريان لحاجتهم اليها فى مباحثهم الدينية .

ويبدو ان اللغة الاساسية التى كانت مستخدمة فى المدرسة هى السريانية ، باعتبار انها لغة الاساتذة من جهة ، ولغة المراجع فى شتى العلوم بعد نقلها من اليونانية الى السريانية ، فكان لا بد للطلاب من تعلم السريانية ليتمكن من التحصيل . ولا نزاع ان الاسرى الذين نزلوا جنديسابور كانوا يتكلمون اليونانية الى جانب السريانية ، ثم تعلموا الفارسية . ويلوح ان بعض الكتب قد ترجم الى الفارسية ايضا عن طريق السريانية ، كما حدث فيما بعد حين نقلت العلوم والفلسفة من السريانية الى العربية . وهذه الكتب السريانية فى طب جالينوس ، ومنطق ارسطو وبعض الكتب

الفلكية والرياضية هي التي عنها نقل المترجمون في العصر العباسي ، وذلك بعد انشاء بغداد التي لم تكن مسرفة البعد عن جنديسابور ، فاجتذبت العاصمة الجديدة بتشجيع الخلفاء والأمراء وما كانوا يقدونه على العلماء كثيرا من أطباء النساطرة وعلمائهم فجعلوا يهجرون موطنهم الأصلي في المدرسة الفارسية ليستقروا في عاصمة الخلافة .

وأول خليفة استقدم طبيبا من جنديسابور ، هو المنصور العباسي ، حين أصيب بعلة شديدة ترجع الى اضطراب الهضم ، وكان معمودا ، فدعا جرجيس بن بختيشوع رئيس مدرسة جنديسابور وبيمارستانها . وظل جرجيس في بلاط الخليفة ببغداد ، من سنة ١٤٨ هـ الى ١٥٢ هجرية ، حيث استأذن في العودة الى جنديسابور . وفي خلافة الهادي استقدم بختيشوع بن جرجيس بن بختيشوع ، ليكون طبيب البلاط ، ولكن نشأ بينه وبين أبي قريش طبيب زوجة الهادي نزاعا ، فرؤى أن يستغنى عنه . فلما تولى هارون الرشيد طلبه لمداواته من صداع مزمن ، ثم استمر في خدمة الخلافة من أسرة بختيشوع الابن الثالث وهو جرجيس بن بختيشوع الذي كان طبيبا لجعفر ابن يحيى البرمكي ثم أصبح طبيب الرشيد ورئيس الأطباء ، وخدم الأمين والمأمون ، وله مؤلفات طبية باللغة العربية ، توفي سنة ٢١٣ هـ .

وانشأ المأمون سنة ٢١٥ هجرية بيت الحكمة في بغداد ،

وجعله مقراً للترجمة من السريانية ، ومن اليونانية الى العربية ، وجعل على رأسه يوحنا بن ماسويه ، وهو طبيب سرياني من مدرسة جنديسابور ، هاجر الى بغداد وأنشأ بها بيمارستانا الى أن قلده المأمون رياسة بيت الحكمة . وكان حنين بن اسحاق ، أشهر المترجمين ، من تلاميذه . ورب معترض يقول أن بيت الحكمة لم يكن مدرسة فلسفية بل داراً للترجمة ، وليست ترجمة الكتب فلسفة . بل ان مدرسة جنديسابور نفسها لم تكن مدرسة فلسفية لانه لم يؤثر عنها أنه قد ظهر منها فلاسفة يعرفون بهذا الوصف ، وإنما الذي برز منهم أطباء يقومون بالعلاج ويديرون البيمارستانات .

وهو اعتراض له وجهته ، ولكن الحق أن مدرسة الاسكندرية نفسها في عصرها المتأخر في القرنين الرابع والخامس ، لم تكن مدرسة فلسفية بمقدار ما كانت مدرسة علمية رياضية وطبية ، فيما عدا الافلاطونية الجديدة التي أنشأها أمونيوس سكاس وأعلنها أفلوطين . وفيما عدا ذلك فهل يمكن أن نسمى بطليموس صاحب المجسطى ، أو منيلاوس ، أو نيقوماخوس أو بابوس وغيرهم فلاسفة . وكذلك الأطباء من أمثال أوريباسيوس وأهرن . وفضلا عن ذلك فان هؤلاء الرياضيين والأطباء لم يكونوا من الأعلام كأقليدس أو جالينوس بل كانوا أصحاب مختصرات وشروح بغية مصلحة التعليم . هذا وقد كانوا الى جانب ذلك

يعرفون مذاهب أفلاطون وأرسطو والرواقيين وغيرهم من الفلاسفة ، فهم وان لم يكونوا فلاسفة الا أنهم كانوا مؤثرين للحكمة ومعلمين لها الى جانب معرفتهم بالرياضيات والطبيعات والطب . وكان ذلك حال مدرسة جنديسابور ، فهي استمرار للتعليم الاسكندراني وبخاصة في الطب . ولما انتقل أطباؤها الى بغداد كان لا بد أن ينهضوا أول الامر بحركة الترجمة تلك الحركة التي استغرقت زهاء قرن من الزمان .

ولكن ظهر من بين هؤلاء المترجمين وفي اثنان حركة النقل فيلسوف اسلامي هو أول من سمي من العرب فيلسوفا ، وكان صاحب مدرسة ، وهو الكندي .

## مدارس الفلسفة الإسلامية

### ١ - مدرسة الكندي

لم يظهر في الاسلام مدارس فلسفية منظمة تفتح ابوابها للطلبة كما كان الحال في اكااديمية افلاطون او لوقيون ارسطو ، او حديقة ابيقور ، وانما ظهرت على معنى الصحبة والاتباع وتقليد المذهب . وهذا على عكس مدارس الفقه واللغة والتفسير والحديث التي انشئت منذ القرن الخامس الهجري ، وانتشرت في جميع انحاء العالم الاسلامي ، ورتب لها الاساتذة والكتب والجرايات واقامت لها ابنية خاصة . وعلّة ذلك ان الفلسفة كان ينظر لها بعين الارتياب ، وانهم المشتغلون بها بالكفر والالحاد ، فلم يكن يتسنى للدولة ان ترعاها .

ثم ان الفلاسفة الاسلاميين لم يكونوا فلاسفة فقط ، بل اشتغل معظمهم بالطب او الرياضيات ، ثم اتصلوا من ذلك بالفلسفة ، ولم تنقطع صلتهم بالطب او بالرياضيات ، فكانوا حكماء واطباء في آن واحد . وكانت هناك مدارس طبيعية ملحقة بالبيمارستانات يتخرج فيها الاطباء . ولكن حديثنا

اساساً عن المدارس الفلسفية ، فأين كانت تلك المدارس ؟  
الأرجح أن الفلاسفة كانوا يعتقدون تلك المدارس ، والأصح  
أن يقال « المجالس » في دورهم ، ولم يكن عدد أتباعهم كبيراً ،  
بل بضعة نفر .

ومن هذا القبيل مدرسة الكندي . وهو أبو يوسف  
يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن  
محمد بن الأشعث الكندي ، فيلسوف العرب ، وأحد أبناء  
ملوكها ، لأن كندة كانوا ملوكاً على اليمن . تولى اسحاق بن  
الصباح أمانة الكوفة في خلافة المهدي والهادي والرشيد ،  
وولد ابنه يعقوب بالكوفة سنة ١٨٥ هجرية ، وبها تعلم  
القراءة والكتابة والنحو والعربية والفقه وعلم أصول الدين ،  
ولكنه انصرف عن علم الكلام الى علم الطب والفلك والرياضة  
والفلسفة ، وشارك النقلة في الترجمة ، وكان يصلح الكتب  
المتجمة بأسلوبه العربي الفصيح ، وفسر كثيراً من كتب  
أرسطو ، وألف كتباً مبتكرة جعلت مؤرخي الفلسفة  
الاسلامية يصفونه بأنه فيلسوف العرب وقد نبغ في خلافة  
المأمون والمعتصم ، وكان مؤدب أحمد بن المعتصم بالله ،  
وعاش زمان المتوكل ، وتوفي سنة ٢٤٥ هجرية .

أن الكندي فيلسوف على الحقيقة ، جدير بهذا الاسم ،  
ويعتد استمراراً للتعليم الاسكندراني الذي ورثه العرب  
بعد نقله الى اللغة العربية ، بعد أن دفع هذا التراث دفعة

قوية ، وطعمه بالديانة الاسلامية موقفاً بين الدين  
والفلسفة .

وقد عاصر الكندي المترجمين ، حتى قيل انه احد اربعة  
من حذاقهم ، ، والثلاثة الآخرون هم حنين بن أسحاق ،  
وثابت بن قرّة ، وعمر بن الفرخان الطبرى . والحق انه  
لم يكن مترجماً بمقدار ما كان مصلحاً للتراجم الغثة ، وكان  
الى ذلك مقتبساً للفكر اليونانى يلخصه ويأخذ زبدته ، وكان  
يصطنع مترجمين من السريان ينقلون اليه ما يريد من  
كتب ، ومن المعروف ان الذى كان يترجم لحسابه يسمى  
« أسطاك » . وكان الكندي يعرف اللغة السريانية معرفة  
جيدة ، وألف بهذه اللغة رسالة صغيرة . أما معرفته للغة  
اليونانية فمشكوك فيها .

وله مؤلفات غزيرة بلغت زهاء مائتين وستين كتاباً  
ورسالة فى شتى فنون المعرفة من منطق ورياضيات وفلك  
وموسيقى وعلوم طبيعية وميتافيزيقا وأخلاق وسياسة  
وكيمياء وغير ذلك ، مما يجعلنا نقول انه كان فيلسوف  
الحضارة العربية فى القرن الثالث الهجرى . ومعظم كتبه كان  
يوجهها اما للمعتصم ، أو لأحمد بن المعتصم ، أو لبعض  
الاخوان والتلاميذ ، الذين كانوا يستفسرون عن مسائل ،  
تعد الرسالة رداً على تلك الاسئلة . ومعظم الرسائل الباقية  
بين أيدينا تجرى على هذا النحو من السؤال والجواب ،  
مما يؤكد ان الكندي لم يكن مترجماً ناقلاً ، بل كان مفكراً



أصيلا ، حصل المعارف السابقة وتمثلها ثم أبدى رايه بعد ترجيح وجهة نظر على أخرى ، وإضافة آراء جديدة . ونضرب مثلا لذلك برسالة يجيب فيها عن ثلاث مسائل مختلفة ، الأولى : لم صار البخار يجمد في الجو ؛ والثانية عن الصحو والقيم ، والثالثة إذا كانت الأعداد بلا نهاية فهل يمكن أن تكون المعدودات بلا نهاية . وليس من الضروري أن يكون السائل قد تراسل فعلا مع الكندي ، إذ لعله قد باحثه ، وكانت نتيجة المباحثة تقييد هذه الرسالة . وكذلك كان يفعل مع تلميذه أحمد بن المعتصم بالله ، ولذلك جاءت رسائله ذات هيئة تعليمية مرتبة .

ويبدو أن الكندي كان يستقبل تلاميذه في داره ، حيث كان يفتنى مكتبة واسعة من أكبر المكتبات ، حتى سميت بالمكتبة « الكندية » . ولهذه المكتبة قصة جذيرة بالرواية ، إذ كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام الخليفة المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة ، فدبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ، ووجها الى داره فأخذا كتبه بأسرها ، وأفرداها في خزانة سميت « الكندية » ، واسترجع الكندي مكتبته فيما بعد حين رضى عنه المتوكل .

ومن تلاميذه أبو العباس أحمد بن محمد الخراساني ، كان ممن ينتمى الى الكندي ، وعليه قرا ، ومنه أخذ . ومنهم ابن كرئيب أبو أحمد الحسين بن أبي اسحاق بن ابراهيم الكاتب ، وكان يعد من جملة المتكلمين . ومنهم على

ابن الجهم ، وكان من الشعراء المختصين بالمتوكل . وعدوا منهم كذلك جماعة باسم نفظويه ، وحسنويه ، وآخرون على هذا الوزن .

وطريق المعرفة عند الكندي اما حسي واما عقلي أو هما معاً . ولا بد مع ذلك من أمور أربعة يتبعها طالب الفلسفة ، وهى الطلب والبحث والأداة والزمان . فالطلب سعى الى غاية ، والبحث تفتيش عن الخفايا ، والمعرفة ثمرة البحث ، والبحث نتيجة الطلب . وأدوات البحث الرياضة والمنطق . والزمان داخل في كل فعل انساني ، على عكس العلم الالهي الذي « يتم بلا طلب ، ولا تكلف ، ولا بحث ، ولا بحيلة من الرياضيات والمنطق ، ولا بزمان » . ويهمننا من هذه الأمور الأربعة الرياضة والمنطق .

فقد ورث العرب فلسفة أفلاطون كما ورثوا فلسفة أرسطو ، وكان أفلاطون يعتمد في الفلسفة على المنهج الرياضي ، وكان أرسطو يعتمد على المنطق . ولما كان الكندي فيلسوفا رياضيا في المحل الأول ، فلا عجب أن يجعل الرياضة مدخلا لا بد منه لتعلم الفلسفة . وفي ذلك يقول بعد ذكر كتب أرسطو التي يحتاج الفيلسوف التمام الى اقتناء علمها ، أنه يجب اقتناء علم الرياضيات قبل ذلك ، « فانه ان عديم أحد علم الرياضيات التي هي علم العدد والهندسة والتنجيم والتأليف ( أى الموسيقى ) » وأن طالب

الفلسفة اذا لم يحصل العلوم الرياضية تحصيلًا وافيا ، فلن يتسنى له معرفة الفلسفة معرفة صحيحة .  
لذلك كان العلم الرياضى مع انه اوسط في الطبع ، الا انه اول في التعليم .

ولكن فلاسفة العرب بعد الكندى ، لانهم اتجهوا وجهة مشائية ، فقد اتخذوا من المنطق اداة لتعلم الفلسفة ، كما هى الحال عند الفارابى وابن سينا فيما بعد .

ويعد الكندى اول مصنف للعلوم عند العرب . وهو صاحب قسمة العلوم قسمين دينية وفلسفية ، وتبعه في هذا التقسيم سائر الذين صنفوا العلوم ابتداء من الفارابى الى ابن خلدون . والذي دفعه الى اضافة العلوم الدينية ان الاسلام جاء بعلوم لا غنى عنها ، مثل علم النبوة وعلم اصول الدين وما يتصل بهما من فقه وحديث وتفسير وغير ذلك .

وقد شق الكندى طريق العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى ، وكان يعد في العصر الوسيط احد ثمانية من كبار علماء الفلك في العالم في ذلك الزمان . اشتهر في اوربا بكتبه التى ترجمت الى اللغة اللاتينية ، والتى لا يزال بعضها موجودا .

وهو صاحب اول مدرسة موسيقية في الاسلام ، من الناحية النظرية . وقد وضع رسائله في الموسيقى لفائدة المتعلمين ، وبيان طريقة تعلمهم . يقول فى احدى رسائله

عند الكلام على طريقة جرس الأوتار : « وهو سبيل ومدخل إلى التعليم ، والالف للأصابع في التنقل على الدساتين ؛ فان من استعمل ذلك وأحكمه وأسرع فيه ، قبل أن يقصد إلى التعلم ، كان أسرع للقبول ، وسهلت عليه محاكاة الأستاذ . . » وعلى الرغم من البحث النظري في الموسيقى وأصولها وحسابها الرياضي ، فان الكندي يرى أن فنون تعليم الموسيقى « موجودة عند أهل هذه الصناعة ، وأخذها عنهم ، وتعلمها منهم نظراً ، أسرع وأقرب إلى الفهم منها من الكتاب » .

وقد عني الكندي بالفنون العملية التي تشكل حضارة الأمة من الناحية المادية ، ولذلك اشتغل بالكيمياء ، وما يتصل بالكيمياء من أصباغ وأحماض . وليس بعيد أنه كان يجري في داره تجارب كيميائية . وله رسالة في السيوف تدل على معرفة وثيقة بصناعة الحديد والصلب ، استمدتها من الاختلاط بأرباب هذه الصناعة . وهذا كله يثبت أن الفلسفة في ذلك العصر لم تكن منعزلة عن المجتمع وحاجاته والرغبة في العمل على رقيه وتقدمه .

ويتلخص مذهبه الفلسفي في أمرين يستهدفان غرضاً يريد الوصول إليه . أما الغرض فاثبات « الواحد الحق » وهو الله سبحانه . ولما كان الإسلام يرمي إلى اثبات الوحدانية ، وأن الله الواحد مبدع العالم من عدم ، وكانت الفلسفة في صميمها تبغى معرفة الآله الواحد الحق ، فلا

منافاة بين الدين والفلسفة ، او بين الحكمة والشريعة .  
وليس الاشتغال بالفلسفة كما يتهمها رجال الدين كفرا ، اذ  
لا يوجد في الدين ما ينص على تحريمها وكفرها .

والامر الثاني محاولته التوفيق بين افلاطون وارسطو .  
وقد راينا ان ذلك التوفيق بدأ بالاسكندرية ، وعند  
افلوطين وفروريوس بوجه خاص . ولكن جوهر فلسفة  
افلاطون التي تؤمن بالمثل أصلا للموجودات ، يخالف جوهر  
فلسفة ارسطو التي تعد فلسفة وجود قبل كل شيء ،  
وتخالف جوهر فلسفة افلوطين التي تعتمد على الواحد  
وتصدر عنه الموجودات بسلسلة من الفيض . ولم يستطع  
الكندى ان يحل هذه المشكلة ، وان يدمج فلسفة الوجود  
وفلسفة الواحد في مذهب جديد يوفق بينهما . وهذا  
ما فعله الفارابي فيما بعد .

صفوة القول : لم يكن الكندى رئيسا لمدرسة في بغداد  
بالمعنى المقصود من مدرسة عبارة عن بناء يشتمل على  
حجرات يجرى فيها التعليم بطريقة منظمة ، اذ كانت تلك  
المدارس لأسباب تاريخية وفقا على النصارى وملحقة في  
الأغلب بالأديرة ، بعد انتقال الفلسفة والعلوم من الاسكندرية  
الى انطاكية ومن انطاكية الى حران ، والى جنديسابور ومنها  
الى بغداد ، ولذلك قال الدكتور مايرهوف في بحثه عن  
انتقال التعليم من الاسكندرية الى بغداد ، ان « الكندى

الذى عاش آتئذ فى بغداد ، وكان اول فىلسوف مسلم ، لم  
يكن يدير آية مدرسة ، وانما كان يعطى دروسا خاصة » .  
استطاع الكندى ان يبرز كفىلسوف ، وان يرتفع عن  
مجرد اتباع الكتب المترجمة ، وان يخلق فى بغداد جيلا من  
التلاميذ ، ولم يكونوا كثيرين ، أشهرهم ثلاثة هم ابن كرنيب  
الذى كان صاحب مدرسة فى بغداد ، وأحمد بن الطيب  
السرخسى ، وأبو زيد البلخى .  
اما الذى اشتهر بين العرب حتى سمي المعلم الثانى ،  
فهو الفارابى .

## ٢ - مدرسة الفارابي

أبو نصر ، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي ، ولد ٢٥٩ هجرية وتوفي ٣٣٩ . والفارابي نسبة الى مدينة فاراب بين حدود فارس وتركيا ، انتقل الى بغداد وتعلم بها الفلسفة على شخص يسمى يوحنا بن حيلان ، فأتقن المنطق ، وانتهى به المطاف الى بلاط سيف الدولة الحمداني ، فخدمه ، ولازمه ، وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩ هجرية . سمى المعلم الثاني في أكبر الظن لأنه أدخل صناعة المنطق عند العرب ، باعتبار أن أرسطو - صاحب المنطق - هو المعلم الأول . وقد طعن على الكندي وقيل انه يجهل المنطق ، ولا يعرف بوجه خاص صناعة التحليل ، أو البرهان . وأن الذي ذلل المنطق ، ويسره ، وفسره ، هو الفارابي . والحق أن الكندي كان رائدا شق الطريق ، وكان يكابد في وضع المصطلح العربي المقابل للمصطلح اليوناني ، وقد هجر كثير من المصطلحات التي وضعها ، ولم تستقر في الواقع الا زمان الفارابي الذي يعد صاحب الفضل في استقرارها . وأيضا فان الكندي كما ذكرنا لم يكن يؤمن بالمنطق أداة أولى لتحصيل الفلسفة ، وأثر عليها

الرياضيات ، لذلك لم يكن يعنيه كثيرا أن يتعمق في صفاة المنطق ، على الرغم من أن ثبت مؤلفاته يدل على أنه فسر معظم كتب أرسطو المنطقية .

وللفارابي كتب كثيرة معروفة ، منها آراء أهل المدينة الفاضلة ، واحصاء العلوم ، وتحصيل السعادة والتنبيه على سبيل السعادة ، والجمع بين رأيي الحكيمين ، وغير ذلك من الرسائل المطبوعة . وله من الكتب المخطوطة الشيء الكثير ، الا أن معظمها مفقود ، وكتابه الموسيقى الكبير تحت الطبع في الوقت الحاضر .

ثم انه لم يتعلم على يوحنا بن حيلان فقط ، بل على أبي بشر متى بن يونس أيضا . وذكر ابن خلكان كيفية اتصاله بأبي بشر وتعلمه منه بما يوضح كيف كان يجري التدريس ، قال : « ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور ، وهو شيخ كبير ؛ وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق وله اذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ، ويجتمع في حلفته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق ، وهو يقرأ كتاب أرسطوطاليس في المنطق ، ويملى على تلامذته شرحه ، ولم يكن في ذلك الوقت مثله في نفسه . وكان حسن العبارة في تأليفه ، لطيف الاشارة ، وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل ، حتى قال بعض علماء هذا الفن : ما أرى ابا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم



المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة الا من أبى بشر . وكان أبو نصر يحضر حلفته في غمار تلامذته ، فأقام أبو نصر كذلك برهة ؛ ثم ارتحل الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني ، فأخذ عنه طرفا من المنطق . ثم انه قفل راجعا الى بغداد وقرا بها علوم الفلسفة ، وتناول جميع كتب أرسطوطاليس ، وتمهر في استخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها « . من هذا يتضح أن ابا بشر متى بن يونس كان رئيس مدرسة في بغداد . ولكنه لم يكن هو الذي ابتدعها ، بل تعلم على غيره في سلسلة متصلة من التعليم الفلسفي .

ولكى نفهم موضع الفارابي في هذه السلسلة يحسن ان نتتبعها من بدايتها بالاسكندرية ، وذلك عن رواية نقلها ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء عن كلام للفارابي في ظهور الفلسفة ، وأنه كان زمان اليونانيين حتى أرسطو ، ثم انتقل الى الاسكندرية في حكم البطالسة حتى كليوباترة ، ولما استولى الرومان على مصر ، استنسخوا الكتب الموجودة بالاسكندرية وأصبح للفلسفة موضعان للتعليم أحدهما في روما ، فلما انتصرت النصرانية زالت مدرسة روما وبقيت الاسكندرية ، وانتقل منها التعليم الى انطاكية واستمر بها الى أن بقي « معلم واحد ، فتعلم منه رجلاان ، وخرجا ومعهما الكتب ، فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو . فأما الذي من أهل مرو فتعلم منه رجلاان :

أحدهما إبراهيم المروزي والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحراني اسماعيل الأسقف ، وقويرى ، وسارا الى بغداد ، فتشاغل أسرائيل بالدين ، وأخذ قويرى في التعليم . وأما يوحنا بن حيلان فإنه تشاغل أيضا بدينه . وانحدر إبراهيم المروزي الى بغداد فأقام بها . وتعلم من المروزي متى بن يونان ( أى يونس ) . . . وقال أبو نصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان . وإذا كنا قد عرفنا طرفا من طريقة أبي بشر ، فإن الغموض يلف شخصية يوحنا بن حيلان . ويبدو أن تأثر الفارابي بأبي بشر كان أعظم . وقيل ان الفارابي كان أصغر سنا من أبي بشر ، ولكنه كان أحد ذهنا ، وأعذب كلاما . وسبب ذلك أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج النحوي ، فيأخذ عنه النحو ، ويأخذ عنه ابن السراج المنطق .

ولسنا ندرى الا النزر اليسير عن طريقة الفارابي في التدريس . ويمكن استخلاص هذه الطريقة من ثبت كتبه الوارد في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . فقد كان الفارابي قصير النفس في التأليف ، وكتبه تعاليق . ويبدو أنه في التأليف كان يستغرق زمنا طويلا لأن كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة بدأ في تصنيفه ببغداد « وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلثمائة ، وتممه بدمشق في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ؛ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت

فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفطسول بمصر سنة سبع وثلاثين . . . » ويهمننا في هذا الخبر أن جماعة من التلاميذ سألوه أن يرتب الكتاب . ولكن من الصعب معرفة أسماء هؤلاء التلاميذ . ويبدو كذلك أن الفارابي كان يضيق بالكتابة ، ويستحسن الاملاء على تلاميذه . من ذلك أن له كتاب « شرح كتاب البرهان لأرسطوطاليس ، على طريق التعليق ، أملاه على إبراهيم بن عدي ، تلميذ له بحلب » . ومن ذلك أيضاً كتاب يسميه ابن أبي أصيبعة : « كلام أملاه على سائل سأله عن معنى ذات ومعنى جوهر ، ومعنى طبيعة » .

وأعظم تلاميذه يحيى بن عدي ، المنطقي ، إليه انتهت الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته ، قرأ على أبي بشر متى ، وهلى أبي نصر الفارابي ، وهو نصراني يعقوبي ، توفي ٣٦٤ هـ . كان مترجماً عن السريانية ، ومعظم مؤلفاته في المنطق . وعن طريق يحيى بن عدي ، تسلسلت المدرسة المنطقية في بغداد ، فرأسها أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار ، ولد ٣٣١ ، فيلسوف وطبيب ، ومنطقي ، وله شروح وتعليقات على أوجانون أرسطو . ثم أبو علي عيسى بن اسحاق بن زرعة ، نصراني يعقوبي ، له ترجمات لبعض كتب أرسطو ، والاسكندرانيين . ثم عبد الله بن الطيب ، تلميذ ابن الخمار ، فيلسوف وطبيب

أشتغل بالبيمارستان العضدي ، جمع بين الطب والفلسفة .  
شرح ميتافيزيقا أرسطو وكتبه المنطقية ، واتصل بالمراسلة  
مع معاصره ابن سينا .

لا نود أن نحصى أسماء كل الفلاسفة الذين اشتهروا  
ببغداد ، وأخذ بعضهم عن بعض ، فهذا أمر يطول ، وفي  
القدر الذي ذكرناه كفاية لتوضيح مدرسة بغداد الفلسفية ،  
والتي كانت تقوم على منطق أرسطو وشرح كتبه المختلفة  
في الطبيعيات ، والالهيات ، والأخلاق والسياسة ، وتهذيب  
الكتب الطبية والرياضية الماثورة عن مدرسة الاسكندرية .  
ولا غرابة أن يدور المذهب الفلسفي حول آراء الفارابي ،  
الذي اعترف له بالرياضة في الفلسفة ، حتى سموه المعلم  
الثاني . ويمكن تلخيص هذه الآراء في أمور ثلاثة : المنطق ،  
وتسلسل الوجود بالفيض ، ونظرية الاتصال .

أما المنطق فهو أداة الفكر ، ومعيار النظر ، منزلته من  
الفلسفة منزلة علم النحو من اللغة ، إلا أن النحو يعني  
بالألفاظ ، على حين يعني المنطق بالمعاني . وقد أثر الفارابي  
في الفلسفة الإسلامية من جهة المنطق ثلاثة أنواع من التأثير ،  
الأول حسن صياغة العبارة المنطقية مما يجعلها مقبولة  
مفهومة ، والثاني العناية بالتحليلات الثانية أي البرهان ،  
بعد أن كان السابقون لا يتجاوزون التحليلات الأولى أي  
القياس . والثالث دخول المنطق في علم الكلام حتى أضحي  
بعد القرن الخامس الهجري جزءا من مباحثه .

وأما تسلسل الوجود صدوراً عن الواحد ، فإنها نظرية مزج فيها الفارابي بين « الفلسفتين » أي بين افلاطون وارسطو ، وكذلك افلوطين ، فأصبحت النظرية مستقيمة لا تعتمد على أساسين هما الوجود والواحد ، بل على أساس واحد مداره أن الوجود هو الواحد ، وعن الموجود الأول صدرت جميع الموجودات « على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر » . صدر عن الموجود الأول العقل الأول ، ثم يصدر عنه العقل الثاني وهكذا الى نهاية العقول العشرة ، والعقل العاشر هو الذي يحكم عالم الأرض ، عالم الكون والفساد ، والعناصر الأربعة . وإنما كانت العقول عشرة لأنها تحرك الكواكب والأفلاك ، وهي بحسب علم الفلك اليوناني المتأخر عشرة .

هذه النظرية مشتقة أساساً من الأفلاطونية المحدثه ، وتحل مشكلة المادة القديمة عند أرسطو ، لأن الهيولي في هذا المذهب متصله بوحدة وجود مع الموجود الأول . وهذا يتعارض تماماً مع الاسلام القائل بالخلق من عدم . وقد رأينا أن الكندي كان أقرب الى روح الاسلام ، حين نادى بالخلق ، بل انه يستعمل مصطلحاً أدق من معنى الخلق ، وهو الإبداع . فلما شاعت فلسفة الفارابي عن طريق مدرسته ، وعن طريق ابن سينا فيما بعد ، لم ينقطع هجوم أهل السنة على الفلاسفة حتى رفع الغزالي لواء الحملة عليهم في تهافته .

والمقصود بنظرية الاتصال ، اتصال عقولنا بآخر العقول  
المتسلسلة عن الواحد وهو العقل العاشر . واذا تيسر لنا  
الاتصال بالعقل الفعال أمكن الاطلاع على كل علم بطريق  
« الفيض » عن الأنوار الالهية . ويتصل الفيلسوف بهذا  
العقل بطريق « البحث النظرى » ، ويتصل النبى أو التولى  
بطريق « المخيلة » التى تقبل الالهامات فى الرؤيا الصادقة  
أو فى اليقظة على هيئة الوحي . وبهذا المسلك وفق الفارابى  
بين الحكمة والشريعة ، لأن الحقائق الدينية والحقائق الفلسفية  
كلاهما ثمرة الفيض الالهى اما عن طريق المخيلة أو النظر  
والتأمل .

### ٣ - مدرسة ابن سينا

مدرسة الفارابي ، وهي مدرسة بغداد ، وقد عرفت بهذا الاسم ، كان معظمها من النصارى ، بدأت بأبي بشر متى ويوحنا بن حيلان ، وبلغت أوجها عند الفارابي وتلميذه يحيى بن عدى ، وكانت تعارض مدرسة الكندي معارضة جوهرية ، منهجا وموضوعا .

وإذا بمدرسة ابن سينا ، التي ظهرت في فارس ، تعارض تلك المدرسة وتُسَفِّتُه آراءها وتفسيراتها وتنتقد رجالها فيما عدا الفارابي . قال ابن سينا في كتاب المباحثات ( انظر ارسطو عند العرب - نشر عبد الرحمن بدوي - ص ١٢٠ - ١٢٢ ) ما نصه : « والذي ذكره من اختلاف الناس في امر النفس والعقل ، وتبلدهم فيه ، لا سيما البله النصارى من اهل مدينة السلام » ومدينة السلام هي بغداد . ثم تكلم بعد ذلك عن خلاصة رايه في النفس والعقل وغير ذلك من المسائل ، وقال ان كتابه الشفاء قضى على تلك الشكوك والتوصل الى حلها . وانه كان قد صنف كتابا اسمه « الانصاف » قسم فيه العلماء الى مشرقيين - اى علماء فارس - والى مغربيين - يريد علماء الشام وبغداد - ،

وتقدم بالانصاف بين الخلاف بينهما ، وتكلم في ذلك الكتاب عن « أثولوجيا » أرسطو ، وعن سهو المفسرين ، ولكن ذلك الكتاب فقيد في بعض الهزائم ، وكان كما يقول : « يشتمل على تلخيص ضعف البغدادية وتقصيرهم وجهلهم » . ولكنه استثنى المعلم الثاني من البلاهة والجهل .

وتحدث عن الفارابي وأعلن رأيه فيه على الرغم من انه حلقة في سلسلة المدرسة البغدادية كما رأينا من قبل . قال ابن سينا : « وأما أبو نصر الفارابي فيجب أن يعظم فيه الاعتقاد ، ولا يجرى مع القوم في ميدان ، فيكاد أن يكون أفضل من سلف من السلف » .

وقد خُلف لنا ابن سينا سيرة حياته بقلمه ، ثم أكملها تلميذه أبو عبيد الجوزجاني ، فتيسر بذلك معرفة كثير من دقائق حياته العلمية ، وطريقته في التدريس ، وكيف كان ينصب مجلس التعليم . وهو الشيخ الرئيس ، أبو علي ، الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن سينا ، ولد ٣٧٠ هـ وتوفي ٤٢٨ هـ . والشيخ تدل على الأستاذية ، والرئيس اما لأنه تولى رئاسة الوزارة والأغلب أنه لقب يدل على انه رئيس الفلاسفة . أبوه من بلخ وانتقل الى بخارى في أيام الأمير نوح بن منصور ، وتعلم في بخارى وهو صبي النحو والعربية والقرآن والأدب . وكان أبوه يجتمع في داره بداعي الاسماعيلية ، فسمع منه حديث النفس والعقل



والفلسفة والهندسة . ثم تعلم حساب الهند من رجل يبيع  
البغل . وقرأ على الناظي المتفلسف المنطق والهندسة  
والفلك ، وتعلم الطب بنفسه ، ورجع الى العلوم الفلسفية  
فقرأها على نفسه ، وانتهى الى كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو  
فلم يفهم منه شيئاً حتى اشترى كتاب الفارابي في اغراض  
كتاب ما بعد الطبيعة فانفتح له مغاليق ذلك الكتاب .  
وعالج نوح بن منصور فأعجب به ، وأدخله مكتبته فاطلع  
على نفائسها وحفظ ما فيها عن ظهر قلب . وتنقل في مدن  
فارس حتى بلغ جرجان حيث قصده الجوزجاني ، الذي  
ألح عليه أن يهتم بالتصنيف ، ويشغل الجوزجاني بالضبط .  
وفي جرجان اشترى له أبو محمد الشيرازي داراً ،  
وانزله فيها ، وكان الجوزجاني يختلف اليه فيها ، ولعله كان  
يستقبل غيره من الطلبة . وهناك ألقى على الجوزجاني كتاب  
المبدأ والمعاد ، وأول القانون ، وكثيراً من الرسائل . وانتقل  
الى الري واتصل بخدمة مجد الدولة ، ثم خرج الى قزوین  
ومنها الى همدان ، واتصل بشمس الدولة ، وتقلد له  
الوزارة .

في هذه الفترة التي تولى فيها الوزارة ، ألف كتابيه  
العظيمين وهما الشفاء في الفلسفة ، والقانون في الطب ، قال  
الجوزجاني يصف مجلسه : « فكان يجتمع كل ليلة في داره  
طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء نوبة ، وكان غيـرى يقرأ  
من القانون نوبة . فإذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف

طبقاتهم ، وهيبىء مجلس الشراب بالآته . وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير « وكان من عادة ابن سينا الاملاء فى الأغلب ، وفى بعض الأحيان كان يكتب نسخة فى الموضوع الذى يلتمسه السائل .

ولما كثر تلاميذه ، وذاع صيته ، « رسم الأمير علاء الدولة لىالى الجمعات مجلس النظر بين يديه ، فحضره سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ فى جملتهم ، فما كان يطاق فى شىء من العلوم » .

ولم يذكر الجوزجاني وهو يدون سيرته أى اسم من تلاميذه ، وبخاصة تلميذه أبو الحسن بهمنيار الذى لازم الشيخ الرئيس فى مجلس تدريسه أثناء توليه الوزارة لشمس الدولة . وقدصف لنا مجلسه وصفا أدق قال : « حضرت أنا وجماعة من تلامذة شيخنا الرئيس بكرة سبت مجلس درسه الشريف . فاتفق أن ظهر منا فى ذلك اليوم فتور عن ادراك ما كان يحققه الشيخ ، فقال لنا : كأنكم صرفتم بارحتكم فى التعطيل ! فقلنا : نعم ، كنا أمس مع جمع من الرفقة فى نزهة ، فلم يتيسر لنا مطالعة الدرس ، ومراجعة ما كنا فيه . فلما سمع ذلك الشيخ تنفس الصعداء وفاضت عيناه بالدموع ، وقال : انما أسفى على أن اللاعب بالحبال قد يبلغ أمره فى لعبه الذى هو من الملكات الجسمانية الى حيث تتحير فى غرابة علمه عقول ألف عاقل . ولكنكم لما لم يكن عندكم للحكم والمعارف الحققة مقدار ومنزلة ، آثرتم

البطالة والوهو على اكتساب العلم والفضيلة ، فلم تقدرُوا  
على أن تنزلوا الملكة الروحانية من أنفسكم منزلة يتحير فيها  
جهلة الزمان » . وتوفي بهمنيار سنة ٤٥٨ هجرية ، وأهم  
ما ألفه من الكتب « التحصيل » يشرح فيه فلسفة  
ابن سينا .

ومن تلامذة بهمنيار ، أبو العباس اللوكري ، كان عالماً  
بأجزاء علوم الحكمة دقيقها وجليلها ، وعنه انتشرت علوم  
الحكمة في خراسان . ثم تتلمذ له أفضل الدين الفيلاي ،  
وأخذ عن الفيلاي صدر الدين السرخسي توفي ٥٤٥ هجرية ،  
وأخذ عن السرخسي فريد الدين داماد النيسابوري ، وهذا  
الآخر أستاذ نصر الدين الطوسي ، آخر تلاميذ هذه المدرسة  
السينوية ، وشارح كتاب الاشارات للشيخ الرئيس ، ومجدد  
التعليم الفلسفي والرياضي ، وصاحب حلقة جمعت كثيراً  
من طلبة الفلسفة والعلوم الهندسية والعقلية ، توفي ٦٧٢  
هجرية ، وامتد مدرسة الطوسي حتى تبلغ ذروتها عند  
ميرداماد ( ١٠٤١ هـ . ) في أصفهان وتلامذته .

فما هي تعاليم المدرسة السينوية ؟

الحق انها امتداد لآراء الفارابي ، الا ان ابن سينا كان  
أوسع عبارة وأكثر شرحاً . ولقد كان طبيباً أكثر منه  
فيلسوفاً ، وكان كتابه القانون في الطب المرجع في أوروبا  
اللاتينية حتى أوائل القرن الثامن عشر . وقد تأثرت  
فلسفته بطبه في اصطناع المنهج التجريبي الدقيق . أما في

الفلسفة فان الشفاء يعد موسوعة فلسفية تشمل المنطق ، والطبيعات ، والرياضيات ، والالهيات ، بحسب ما رتبته أرسطو ، أو بحسب الفلسفة المشائية ، فهو يحدو حدو المعلم الأول وشراحه مع التأليف بين الآراء المختلفة ، والتوفيق بينها . واثره في المنطق لا ينكر ، ولا شك أنه مسئول عن اذاعة المنطق بحائه الراهنة في العالم العربي ، حتى ان كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق ، والذي حققه ونشره الأستاذ الامام محمد عبده ، وكان يقوم بتدريسه ، يعد تلخيصا أميناً لآراء الشيخ الرئيس .

وآثره في الالهيات لا يقل عن اثره في المنطق . والمقصود بالالهيات ، أو العلم الالهي ، ما نسميه اليوم بالميتافيزيقا . تحدث فيه عن الواجب ، أو واجب الوجود ، وعن تسلسل الموجودات عن الواجب ، وعن العلل . فواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال . ويمكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود أو موجود لم يعرض منه محال . وقد مر بنا أن الكندي كان يصف الله بأنه الحق ، وأن الفارابي كان يصفه بأنه الواحد ، وهنا نرى نظرة ابن سينا وجودية ومنطقية ، فالله هو واجب الوجود لذاته . والواجب مفهوم منطقي يقابل المستحيل ويتوسط الممكن بينهما . والموجود هو حجر الزاوية في الفلسفة المشائية ، على حين أن الواحد كما رأينا فوق الوجود في فلسفة أفلوطين .

أى أن الفرق بين المعلم الثانى والشيخ الرئيس أن الفارابى ينجح الى الأفلاطونية على حين يميل ابن سينا الى المشائية . وليس هذا هو الفرق الوحيد بين الحكيمين وبين المدرستين ، لأن ابن سينا أصطنع فى آخر حياته فلسفة أخرى خلاف المشائية التى بسطها فى الشفاء وفى النجاة ، هى التى يسميها الفلسفة المشرقية ، كما تتمثل فى الاشارات . والفلسفة المشرقية اشراقية ، صوفية ، متأثرة بالمشرق فى فارس .

وقد فطن الفزائى ( ٤٥٠ - ٥٠١ هجرية ) لما فى آراء ابن سينا من خطر على الاسلام ، فكتب « تهافت الفلاسفة » يكرههم فى عشرين مسألة ، على رأسها القول بقدوم العالم ، وعدم علم الله بالجزئيات ، ونفى المعاد . ولم يستطع ابن رشد فى « تهافت التهافت » أن يقنع الجمهور بعدم صحة هذه التهم ، وانتهى الأمر بالفلسفة الى الانزواء ، ودخلت فى مباحث علم الكلام الذى أصبح يسمى علم التوحيد .



أشرنا الى أن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده جدد مدرسة ابن سينا ، فاشتغل بالمنطق ورجع الى كتبه القديمة كما أنه فى « رسالة التوحيد » سلك مسلك الشيخ الرئيس فى اثبات « الواجب » . ولكن محمد عبده لم يكن ملخصا لابن سينا أو شارحا لآرائه ، بل كان صاحب مدرسة فكرية

تدعو إلى تجديد النظر الديني بالعودة إلى الإسلام في منابعه الأولى ، وإلى اصلاح المجتمع عن طريق اصلاح الدين والأخلاق والفكر ، والخروج على التقليد والجمود ، وإلى تحكيم العقل والفطرة السليمة . وكان محمد عبده قد أخذ هذا الاتجاه الجري الجديد من جمال الدين الأفغانى ، الذى يعد بحق رئيس المدرسة .

وأخذ عن محمد عبده مصطفى عبد الرازق ، الذى استطاع أن ينشر تعاليمه الفلسفية فى الجامعة المصرية حين عين للتدريس فيها سنة ١٩٢٧ ، وعندئذ أصبح تعليم الفلسفة موجودا فى مدرسة ثابتة ويدرس من فوق منبر جامعى . وخلاصة رأى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن المسلمين كانت لهم فلسفة أصيلة لا هى يونانية ، ولا هى فارسية وهندية ، ويمكن التماس هذه الفلسفة فى أصول الفقه . وهذه النظرية ليست جديدة مبتكرة كل الابتكار ، لأن كثيرا من المفكرين فى الإسلام لم تنقطع معارضتهم للفلسفة ، وبخاصة للمنطق باعتبار أنه أداة البحث فيها . ولا بن تيمية كتاب هام فى نقد المنطق اليونانى .

ولكن تيارات العصر الحديث لم تكن تسمح بالعودة عن الأفكار المعاصرة ، وعن الفلسفات الأوربية التى نشأت فى أوروبا منذ القرن السابع عشر على يد ديكارت فى فرنسا وبيكون فى إنجلترا ، ثم فى القرن الثامن عشر على يد كانط فى ألمانيا . فكان لا بد للفلسفة العربية المعاصرة أن تأخذ فى

الاعتبار هذه الفلسفات الوافدة من الغرب ، والعمل على التوفيق بينها وبين تراثنا الفلسفي الموروث .

وكاتب هذه السطور يعتز بأنه كان تلميذا لمصطفى عبد الرازق بالجامعة المصرية ، قرانا عليه البصائر النصيرية في المنطق ، ولباب الاشارات لابن سينا في محاضراته . ولازمته بعد ذلك طول حياته ، وعليه قمت بتحضير رسالتي ، ثم انتقلت الى التعليم بالجامعة متابعا روح المدرسة العقلية الحرة التي بداها جمال الدين ، ثم محمد عبده ، ثم مصطفى عبد الرازق .

## فهرس

صفحة

٣	الفلسفة والمجتمع
١٤	الفيشاغورية
٢٧	الأكاديمية
٤٩	المشائية
٧٠	الرواق والحديقة
٨٤	مدرسة الاسكندرية
٩٧	مدرسة أفلوطين
١١٥	مدرسة جنديسابور
١٢٤	المدارس الفلسفية الاسلامية
١٢٤	١ - مدرسة الكندي
١٣٢	٢ - مدرسة الفارابي
١٤١	٣ - مدرسة ابن سينا



## المكتبة الثقافية

تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها :

- ١ - الثقافة العربية أسبق من { الثقافة اليونان والعبريين .  
للاستاذ عباس محمود العقاد
- ٢ - الاشتراكية والشيوعية . . . . .  
للاستاذ على آدم
- ٣ - الظاهر بيبرس في القصص الشعبي  
للدكتور عبد الحميد يونس
- ٤ - قصة التطور . . . . .  
للدكتور أنور عبد العليم
- ٥ - طب وسحر . . . . .  
للدكتور بول غليونجى
- ٦ - فجر القصة . . . . .  
للاستاذ يحيى حقى
- ٧ - الشرق الفنان . . . . .  
للدكتور زكى نجيب محمود
- ٨ - رمضان . . . . .  
للاستاذ حسن عبد الوهاب
- ٩ - أعلام الصحابة . . . . .  
للاستاذ محمد خالد
- ١٠ - الشرق والاسلام . . . . .  
للاستاذ عبد الرحمن صدقى
- ١١ - المريخ . . . . .  
للدكتور جمال الدين الفندى ،  
والدكتور محمود خيرى
- ١٢ - فن الشعر . . . . .  
للدكتور محمد مندور
- ١٣ - الاقتصاد السياسى . . . . .  
للاستاذ أحمد محمد عبد الخالق
- ١٤ - الصحافة المصرية . . . . .  
للدكتور عبد اللطيف حمزة
- ١٥ - التخطيط القومى . . . . .  
للدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن

- ١٦ - اتحادنا فلسفة خلقية . . . . . للدكتور ثروت عكاشة
- ١٧ - اشتراكية بلدنا . . . . . للأستاذ عبد المنعم الصاوي
- ١٨ - طريق القصد . . . . . للأستاذ حسن عباس زكي
- ١٩ - التشريع الإسلامي وأثره في  
الفقه الغربى . . . . . } للدكتور محمد يوسف موسى
- ٢٠ - العقيدة في الفن . . . . . للدكتور مصطفى سويف
- ٢١ - قصة الأرض في اقليم مصر . . . . . للأستاذ محمد صبيح
- ٢٢ - قصة الذرة . . . . . للدكتور اساعيل بسيونى هزاع
- ٢٣ - صلاح الدين الأيوبي بين  
شعراء عصره وكتابه . . . . . } للدكتور أحمد أحمد بدوى
- ٢٤ - الحب الالهى في التصوف الإسلامى  
٢٥ - تاريخ الفلك عند العرب . . . . . } للدكتور محمد مصطفى حلمى
- ٢٦ - صراع البترول في العالم العربى  
٢٧ - القومية العربية . . . . . } للدكتور امام ابراهيم أحمد
- ٢٨ - القانون والحياة . . . . . للدكتور أحمد سويلم العمري
- ٢٩ - قضية كينيا . . . . . للدكتور أحمد فؤاد الأهواني
- ٣٠ - الثورة العراقية . . . . . للدكتور عبد الفتاح عبد الباقي
- ٣١ - فنون التصوير المعاصر . . . . . للدكتور عبد العزيز كامل
- ٣٢ - الرسول في بيئته . . . . . للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٣ - اعلام الصحابة « المجاهدون » . . . . . للأستاذ محمد صدقى الجباخنجى
- ٣٤ - الفنون الشعبية . . . . . للأستاذ محمد خالد
- ٣٥ - اخناتون . . . . . للأستاذ رشدى صالح
- ٣٦ - الذرة في خدمة الزراعة . . . . . للدكتور عبد المنعم أبو بكر
- ٣٧ - الفضاء الكونى . . . . . للدكتور محمود يوسف الشواربى
- ٣٨ - طاغور شاعر الحب والسلام . . . . . للدكتور جمال الدين الفندى
- ٣٨ - طاغور شاعر الحب والسلام . . . . . للدكتور شكرى محمد عياد

- ٣٩ - قضية الجلاء عن مصر . . . . . للدكتور عبد العزيز رفاعي
- ٤٠ - الخضراوات وقيمتها الغذائية والطبية . . . . . للدكتور مز الدين فراج
- ٤١ - العدالة الاجتماعية . . . . . للمستشار عبد الرحمن نصير
- ٤٢ - السينما والمجتمع . . . . . للأستاذ محمد حلمي سليمان
- ٤٣ - العرب والحضارة الأوربية . . . . . للأستاذ محمد مفيد الشوياشي
- ٤٤ - الأسرة في المجتمع المصري القديم للدكتور عبد العزيز صالح
- ٤٥ - صراع على أرض الميعاد . . . . . للأستاذ محمد عطا
- ٤٦ - رواد الوعي الانساني . . . . . للدكتور عثمان أمين
- ٤٧ - من النرة الى الطاقة . . . . . للدكتور جمال نوح
- ٤٨ - أضواء على قاع البحر . . . . . للدكتور أنور عبد العليم
- ٤٩ - الأزياء الشعبية . . . . . للأستاذ سعد الخادم
- ٥٠ - حركات التسلسل ضد القومية العربية . . . . . للدكتور إبراهيم أحمد العدوي
- ٥١ - الفلك والحياة . . . . . للدكتور عبد الحميد ساحبة ، والدكتور عدلى سلامة
- ٥٢ - نظرات في أدبنا المعاصر . . . . . للدكتور زكي المحاسنى
- ٥٣ - النيل الخالد . . . . . للدكتور محمد محمود الصياد
- ٥٤ - قصة النفس . . . . . للأستاذ أحمد الشريانى
- ٥٥ - القرآن وعلم النفس . . . . . للأستاذ عبد الوهاب حمودة
- ٥٦ - جامع السلطان حسن وما حوله للدكتور جسن عبد الوهاب
- ٥٧ - الأسرة في المجتمع العربى بين الشريعة الاسلامية والقانون . . . . . للأستاذ محمد عبد الفتاح الشهاوى
- ٥٨ - بلاد النبوة . . . . . للدكتور عبد المنعم أبو بكر
- ٥٩ - غزو الفضاء . . . . . للدكتور محمد جمال الدين الفندى

- ٦٠ - الشعر الشعبي العربي . . . . . للدكتور حسين نصار
- ٦١ - التصوير الإسلامى ومدارسه . . . . . للدكتور جمال محمد محرز
- ٦٢ - الميكروبات والحياة . . . . . للدكتور عبد المحسن صالح
- ٦٣ - عالم الأفلاك . . . . . للدكتور امام ابراهيم أحمد
- ٦٤ - انتصار مصر فى رشيد . . . . . للدكتور عبد العزيز رفاعى
- ٦٥ - الثورة الاشتراكية « قضايا  
ومناقشات » . . . . . } للأستاذ أحمد بهاء الدين
- ٦٦ - الميثاق الوطنى قضايا ومناقشات  
للأستاذ لطفى الخولى
- ٦٧ - عالم الطير فى مصر . . . . . للأستاذ أحمد محمد عبد الخالق
- ٦٨ - قصة كوكب . . . . . للدكتور محمد يوسف موسى
- ٦٩ - الفنحة الإسلامية . . . . . للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
- ٧٠ - القاهرة القديمة وأحيائها . . . . . للدكتورة سعاد ماهر
- ٧١ - الحكم والأمثال والنصائح عند  
المصريين القدماء . . . . . } للأستاذ محرم كمال
- ٧٢ - قرطبة فى التاريخ الإسلامى . . . . . } للأستاذ محمد محمد صبيح  
والدكتور جودة هلال
- ٧٣ - الوطن فى الأدب العربى . . . . . للأستاذ ابراهيم الأبيارى
- ٧٤ - فلسفة الجمال . . . . . للدكتورة أميرة حلمى مطر
- ٧٥ - البحر الأحمر والاستعمار . . . . . للدكتور جلال يعقوب
- ٧٦ - دورات الحياة . . . . . للدكتور عبد المحسن صالح
- ٧٧ - الإسلام والمسلمون فى القارة  
الأمريكية . . . . . } للدكتور محمد يوسف الشواربى
- ٧٨ - الصحافة والمجتمع . . . . . للدكتور عبد اللطيف حمزة
- ٧٩ - الورثة . . . . . للدكتور عبد الحافظ حلمى
- ٨٠ - الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى . . . . . للدكتور محمد عبد العزيز

- ٨١ - ساعات حرجة في حياة الرسول للاستاذ عبد الوهاب حمودة
- ٨٢ - صور من الحياة . . . . . للدكتور مصطفى عبد العزيز
- ٨٣ - حياذ فلسفى . . . . . للدكتور يحيى هويدى
- ٨٤ - سلوك الحيوان . . . . . للدكتور احمد حماد الحسينى
- ٨٥ - أيام في الاسلام . . . . . للاستاذ احمد الشرباصى
- ٨٦ - تعمير الصحارى . . . . . للدكتور عز الدين فراج
- ٨٧ - سكان الكواكب . . . . . للدكتور امام ابراهيم احمد
- ٨٨ - العرب والتتار . . . . . للدكتور ابراهيم احمد العدوى
- ٨٩ - قصة المعادن الثمينة . . . . . للدكتور أنور عبد الواحد
- ٩٠ - أضواء على المجتمع العربى . . . . . للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب
- ٩١ - قصر الحمراء . . . . . للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق
- ٩٢ - الصراع الأدبى بين العرب والعجم للدكتور محمد نبيه حجاب
- ٩٣ - حرب الإنسان ضد الجوع }  
وسوء التغذية . . . . . للدكتور محمد عبد الله العربى
- ٩٤ - ثروتنا المعدنية . . . . . للدكتور محمد فهم
- ٩٥ - تصويرنا الشعبى خلال العصور للاستاذ سعد الحادم
- ٩٦ - منشآتنا المائية عبر التاريخ . . . . . للاستاذ عبد الرحمن عيد التواب
- ٩٧ - الشمس والحياة . . . . . للدكتور محمد خيرى على
- ٩٨ - الفنون والقومية العربية . . . . . للاستاذ محمد صدقى الجباخنجى
- ٩٩ - أقلام نائرة . . . . . للاستاذ حسن الشيخ
- ١٠٠ - قصة الحياة ونشأتها على الأرض للدكتور أنور عبد العليم
- ١٠١ - أضواء على السير الشعبية . . . . . للاستاذ فاروق خورشيد
- ١٠٢ - طبائع النحل . . . . . للدكتور محمد رشاد الطوبى
- ١٠٣ - النقود العربية (ماضيها وحاضرها) للدكتور عبد الرحمن فهمى

- ١٠٤- جوائز الآب العالفة « مثل من  
جائزة نوبل » . . . .
- ١٠٥- الفناء ففه الاء وففه الاء .  
للأستاذ حسن عى الالام
- ١٠٦- القصة العربفة الفففة . . .  
للأستاذ محمد مففء الشوباشى
- ١٠٧- الفنبلة النافعة . . . .  
للءكءور محمد فءفى عبء الوهاب
- ١٠٨- الأحجار الكرففة فى الفن والءارفخ  
للءكءور عبء الرءمن زكى
- ١٠٩- الفلاف الهوائى . . . .  
للءكءور محمد جمال الءفن الفئى
- ١١٠- الآب والءفاة فى المءءمع  
المصرى المعاصر . . . .  
للءكءور ماهر حسن فهمى
- ١١١- ألوان من الفن الشعبى . . .  
للأستاذ محمد فهمى عبء اللطف
- ١١٢- الفطرفاء والءفاة . . . .  
للءكءور عبء المءسن صالح
- ١١٣- السء العالى « ءنماء  
الاقتصادفة » . . . .  
للءكءور فوسف أبو الءءاء
- ١١٤- الشعر بفن الءموء والءنطور . . .  
للأستاذ العوضى الوكفل
- ١١٥- ءنفرقة العنصرفة . . . .  
للءكءور أحمد سولفم العمرف
- ١١٦- صراع مع المفكروب . . . .  
للءكءور محمد رشاء الطوبى
- ١١٧- الاصلاح الزراعى والمفءاق . . .  
للأستاذ محمد عبء المءفء مرعى
- ١١٨- أضواء جفءفة على الءروب  
الصلففة . . . .  
للءكءور سعفء عبء الفءاء عاشور
- ١١٩- الأمم المءءة وممارسة نءامها .  
للءكءور سلفمان مءموء سلفمان
- ١٢٠- أسرار المءلوفاء المصففة . . .  
للءكءور عبء المءسن صالح
- ١٢١- ءارفخ والسفر . . . .  
للءكءور حسن فوزى
- ١٢٢- ءنطور المءءمع الءولى . . . .  
للءكءور فعففى الءمل
- ١٢٣- الاسءعمار والءنءرفر فى العالم  
العربى . . . .  
للءكءور جمال مءمان
- ١٢٤- الآءار المصرفة فى الآب العربى .  
للءكءور أحمد أحمد بءوى

- ١٢٥- الإسلام والطب . . . . . للأستاذ محمد عبد الحميد البوشى  
١٢٦- الخلى فى التاريخ والفن . . . . . للدكتور عبد الرحمن زكى  
١٢٧- نافذة على الكون . . . . . للدكتور امام ابراهيم أحمد  
١٢٨- الفلاح فى الأدب العربى . . . . . للأستاذ محمد عبد الغنى حسن  
١٢٩- ثروتنا المائية . . . . . للدكتور أنور عبد العليم  
١٣٠- التفكير عند الإنسان . . . . . للدكتور أحمد فائق  
١٣١- رحلات الحيوان والطيور . . . . . للدكتور مريد ينى حنا  
١٣٢- النيل فى عصر المماليك . . . . . للدكتور محمود رزق سليم  
١٣٣- الفلسفة فى الميثاق . . . . . للدكتور يحيى هويدى  
١٣٤- ريتشارد فاجنر . . . . . للدكتور فؤاد زكريا  
١٣٥- قصة الألومنيوم . . . . . للدكتور أنور محمود عبد الواحد  
١٣٦- المدارس الفلسفية . . . . . للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

(( الثمن قرشاً ))





دار مصر للطباعة  
٣٧ شارع كمال صدقي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
مكتبة الاسكندرية



## المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحققت  
اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته  
مكتبة جامعة تحوي جميع ألوان  
المعرفة بأقلام أساتذة ومتخصصين  
وبعشرين لكل كتاب
- تصدر مرتين كل شهر  
في أوله وفي منتصفه

## الكتاب القادم

### الرسول

لمحات من حياته ولفحات من هديه

للدكتور عبد الحليم محمود

١٥ يوليو ١٩٦٥

دار مصر للطباعة